ملامح الاتجاه الوجداني
عند الشاعر الكويتي
فهد العسكر
(١٩١٧-١٩٥١م)

ملامح الاتجاه الوجداني
عند الشاعر الكويتي
فهد العسكر
(١٩١٧-١٩٥١م)

تأليف

د/ كريم صديق

دار الأمل
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

سعدت بقراءة هذا البحث الذي كتبه تلميذي النجيب د/ كريم صديق عن ملامح الاتجاه الوجداني عند الشاعر الكويتي فهد العسكر (١٩١٧-١٩٥١م)؛ حيث استطاع أن يقدم نقدا فنيا موضوعيا لاتجاهه الرومانتيكي مقارنا بينه وبين غيره من رواد هذا الاتجاه مثل خليل مطران.

وقد أسعدني ما ظهر في نقده وتحليله من إنصاف للشاعر من الناحية الفنية؛ حيث لم يمنع الناقد بالتزامه الأيديولوجي الإسلامي من تقييم الجوانب الفنية عند هذا الشاعر تقييما موضوعيا بعيدا عما شاع عنه من أفكاره التحررية، وبعيدا كذلك عن مضامين شعره التي قد تتعارض مع الدين الحنيف في كثير من التصورات كالتغني بالخمر والشراب ومجالس الندامى والغزل الحسي بالمرأة وغير ذلك.

واستطاع في النهاية أن يخرج بتصورات واضحة عن شعر فهد العسكر؛ حيث يقرر أن «شاعرنا العسكر في معظم أشعاره قد التزم النمط القديم، ولم يحد عنه إلا نادرا؛ فحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة والتزم عددا ثابتا من التفعيلات تماما كما يفعل القدماء، وقد كانت رومانتيكية العسكر في المضمون أكثر منها في الشكل».

كل ذلك بأسلوب نقدي رصين يغلب عليه السلاسة والموضوعية ورصانة التعبير وجزالته.

وكتب..،

عبد الحميد هنداوي

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن الأسبق

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتجاه الوجداني فرع على المدرسة الرومانسية، إنه أهم مظاهرها وتجلياتها، الرومانسية مذهب فردي على مستوى الفرد، ونزعة قومية على مستوى الأمم، والتغني بالمشاعر الفردية أساس عند أقطاب هذه المدرسة بدءًا من كولريدج ووردزورث ومرورا بشيلي وكيتس إلى أن نصل إلى أقطاب هذه المدرسة في العالم العربي وخاصة عبد الرحمن شكري الذي أولى الوجدان خصوصية وفرادة في الشعر، فأعلن أن الشعر وجدان حين قال

ألا يـا طائـرَ الفِـرْدَوسِ إنَّ الشِّـعْرَ وِجْـدَانُ

أما فهد العسكر، فهو من أهم أقطاب النزعة الرومانسية في الشعر الكويتي، شاعر ظلت أشعاره حاضرة متألقة نضرة، رغم تغير العصور وتقلب الأزمان والمذاهب الأدبية والنزعات الفكرية، وذلك لأن الأدب الأصيل يبقى على الزمن قادرا على الصمود أمام تغير الأفكار والأيدلوجيات.

ومن هذا المنظور جاءت أهمية الدراسة التي يقوم بها الدكتور/ كريم صديق، لأنها تتصدى لهذه التجربة الرومانسية المهمة عند شاعر كبير من أقطاب الشعر في الكويت، بل في العالم العربي كله.

فتدرس هذه التجربة في تجلياتها المختلفة، من الولع بالطبيعة، والدعوة إلى عالم المثل، والافتنان بالمرأة، والحنين إلى الماضي، والانشغال بقضايا الوطن، وغيرها من مظاهر المدرسة الرومانسية.

ولعل اللافت للنظر في المدرسة الرومانسية العربية أو بالأحرى في المدارس الرومانسية العربية والمشرقية منها بخاصة أنها لم تقم على الأفكار الغربية كاملة، بل جعلت لنفسها نصيبا من الرومانسية الغربية، وتخلت عما لا يناسبها من هذه الرومانسية، فلا نجد في المدارس الشرقية ازدراء للغة، ولا نجد رغبة في تجاوزها وتركها، مثلما كنا نجد في المدرسة الرومانسية في المهاجر الأمريكية عند جبران خليل جبران الذي كتب «**لكم لغتكم ولي لغتي**»، ولا نجد نزعة قومية واضحة، وإن كنا نجد بعض تأثيرات هذه النزعة في خفوت، ولكنها تلك النزعة التي تبرز مزايا القومية، ولكنها تظل متعلقة بالأمة العربية كلها، متمسكة بعروبتها وقيمها الأصيلة.

إننا أمام دراسة جادة في شاعر مهم من شعراء العربية، وإني لأرجو للدكتور كريم صديق مزيدا من الدراسات المهمة في أدبنا العربي الغني.

مراد حسن عباس

أستاذ الأدب المقارن والنقد

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

أستاذ كرسي الأدب – كلية اللغات الأجنبية – جامعة نانكاي

مُقدِّمة

الحمد لله وكفى، وسلامًا على عباده الذين اصطفى، لا سيّما عبده المصطفى، وآله وصحبه المستكملين الشرفَ، أما بعد، فلم تكد تشرف بدايات القرن العشرين حتى كانت بوادر التطور قد لاحت في عالمنا العربي، فغدا المثقف العربيّ في صراع متعدد الجوانب بين القديم والحديث، في الاجتماع والسياسة والأخلاق والعادات والأدب والفن.

ثمة صراعٌ عنيف قد احتدم بين المستعمر الغربي من ناحية والشعوب العربية التي تستشرف طريقها للحرية من ناحية أخرى.

وفي ظل ذلك التطور الممتد من ناحية، وغمرة الصراع من ناحية أخرى، نشأت طائفة من الأدباء بلغت حدًا طيبًا من الثقافة والوعي، وتفتّح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما أتاحه للفرد من شعور بذاته، هذا الشعور الذي ظل مفقودًا أمدًا طويلًا، حتى ردته المعرفة والحرية النسبية والتطلع إلى المشاركة في الكفاح من أجل الاستقلال والرقي الحضاري الذي ينشدونه، والتفت هؤلاء الأدباء إلى وجدانهم يرقبون من خلاله عالمهم المتغير ويُعبّرون عن تجاربهم الفردية ومشاعرهم الذاتية بأساليب فيها كثير من الحدة العاطفية والخيال الجامح والصور المستحدثة والمعجم الجديد[1].

(١) ينظر:: د/ عبد القادر القط - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر - مكتبة الشباب - القاهرة - ١٩٨٨ - ص٩.

ولم يكن العالم العربي حديث العهد بالذاتية والتجارب العاطفية، ولكن ثمة فرق بين العواطف الإنسانية العامة التي لا يكاد يخلو منها أدب إنساني في أي عصر أو أي مجتمع، والعاطفية التي تمثل موقفًا خاصًا من الحياة والطبيعة والمجتمع حتى تتحد صور الظاهرة المشتركة بين طائفة من الأدباء، سواء في طبيعة التجربة أو في طريقة التعبير عنها.

والحركة الوجدانية أو الرومانسية أو الرومانتيكية[١] حركة إيجابية تقوم على اكتشاف الفرد ذاته بعد أن ظلت ضائعة مقهورة في ظل عهود طويلة من الظلم والتخلف؛ بسبب ما عاناه عالمنا العربي من الاستعمار، وتقوم على اعتزاز الفرد بثقافته الجديدة ووعيه الاجتماعي وحسه المرهف وتطلعه إلى المثل الإنسانية العليا من حرية وكرامة وعدل وعفّة وعشق للجمال والكمال ونفور من القبح والتخلف، وقد حملت هذه الحركة من الناحية الفنية عبء التجديد والخروج من أسر الأنماط الشعرية القديمة المكررة على مر العصور، وابتكار صيغة شعرية حديثة يمتزج فيها التراث بالعصرية، وتكتسب فيها دلالات حديثة وقدرة جديدة على الإيحاء كانت قد فقدتها في الصيغ النمطية التقليدية، وتقوم فيها الصور الشعرية على مفهوم فني حديث ينتفع بالنظريات الجديدة في الأدب والفن والموسيقى واللغة[٢].

(١) لم أتحيز إلى تسمية بعينها فالاتجاه الوجداني كترجمة ذائعة للرومانتيكية أو الرومانسية صارت كلها أعلاما على هذا الاتجاه المعروف.

(٢) ينظر: خليل مطران - الأعمال الشعرية الكاملة - جمع وترتيب د/ أحمد درويش - مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري - الكويت - الطبعة الأولى - ٢٠١٠م - ص١٦.

يقول أحمد زكي أبو شادي أحد أعلام هذا الاتجاه: «إني أوقن أن الكون في تحوّلٍ مستمرٍ، وأن الفكرَ الإنساني في تبدلٍ وتطورٍ، وأن ما نراه حسنًا الآن قد لا يرضى عنه جيلٌ مقبلٌ، كما أننا لم نرضَ عن كثيرٍ مما استحسنهُ أسلافنا، ولكن كل هذا لا يعني أن جهدنا عديم الجدوى، ولن يطالبنا العقل أكثر من الوفاء لعصرنا، الحاضر خاصةً، ولجوهر الفكر الإنساني عامةً»[١].

وبرغم ما استقر في نفوس الكثيرين من أن الاتجاه الوجداني يرتبط بموضوعات بعينها كالطبيعة والحب، وبرغم ميل الشعراء الرومانتيكيين إلى نحو التجارب العاطفية ومشاهد الطبيعة، إلا أن التجربة في ذاتها لا تصنع أدبا رومانتيكيًا أو كلاسيكيًا أو واقعيًا أو غير ذلك من المذاهب الفنية، وإنما يتحقق ذلك بطبيعة موقف الشاعر من موضوعه وأسلوب تعبيره عنه، فكل موضوع يمكن أن يكون في ذاته مجالًا لتجربة واقعية أو رومانتيكية بحسب تصور الأديب له، وموقفه منه، وتعبيره الفني عنه.

فليست الطبيعة والحب بجديدين على الشعر العربي، ولكن الجديد فيهما عند شعراء الاتجاه الوجداني أنهما يمتزجان بوجدان الشاعر امتزاجًا يكاد يتحد فيه الوجود الخارجي بالوجود الداخلي، فتحمل التجربة دلالات أرحب من الدلالات المألوفة في التجربة العاطفية التقليدية.

ومن دوران التجربة حول الذات وانطلاق الصورة الفنية من الوجدان يتسم الشعر الوجداني بسمات فنية عُرف بها، من ميل إلى الصورة الخيالية والتجسيم والألفاظ الشعرية المحملة بدلالات شعورية غير مقيدة بمعانٍ مادية محدودة[٢].

(١) أحمد زكي أبو شادي – الشفق الباكي – المطبعة السلفية ومكتبتها – ١٩٢٦م – ص٤٠.
(٢) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص١٤.

والشاعر الوجداني هو ذلك الشاعر الذي يرصد بوجدانه مجتمعا مشدودًا بين أطراف القديم ومشارف الجديد، وهو لهذا مجتمع مليء بالمتناقضات إلى حد يتجاوز التناقض الطبيعي في مجتمع مستقر، والشاعر في ظل هذا الجو المفعم بالتوتر يشعر شعورا عاما بما تنطوي عليه نفسه من تناقض بين الرغبة والمثل العليا، وبين الإرادة والقدرة، وبين الانجذاب نحو الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

لذا تكثر المقابلة في أشعار هؤلاء الوجدانيين فتكون محورا لكثير من صورهم الشعرية، فالشاعر الوجداني يلجأ لهذا اللون البلاغي حيث يراه قادرًا على التعبير عن حيرته في مجتمع يتجاذب بين القديم بكل ما فيه من عادات صارمة، وبين الجديد بكل ما يحمله من ثورة على هذه العادات التي يراها بالية لا تتناسب وظروف عصره.

ولما كان شعور الشاعر الوجداني يصبغ صوره بلونه الخاص، ويبعد به عن الأنماط الموضوعية المألوفة في الشعر الكلاسيكيّ، فقد كان عليه أن يبتدع لنفسه معجما شعريًا جديدًا يعتمد على ألفاظ تشفّ عن إحساسه وترتبط بإيحاءات نفسية ووجدانية عديدة أكثر من ارتباطها بدلالات محدودة، ويختلف الشعراء الوجدانيون في هذا المجال بمقدار سيطرتهم على اللغة ومعرفتهم بالتراث، وحسب إدراكهم لإيقاع الألفاظ ودلالات رموزها.

فمنهم من يميل إلى استخدام المعجم الشعري المألوف عند بعض الوجدانيين القدماء كالشعراء العذريين في القرون الهجرية الأولى مع لمسات معاصرة تزاوج بين العراقة والحداثة، وقد كان شاعرنا فهد العسكر من أصحاب هذا الاتجاه؛ حيث تحمّل معجمه الشعري كثيرا من الألفاظ التراثية التي صيغت في ثوب عصريّ، وهذه

الخصيصة تنم عن دراية العسكر الكبيرة بشعر القدماء وهضمه لهذا التراث وتشرب وجدانه به، فهو مجدد، ولكنه مقرٌّ بما للقدماء من تراث شعريّ عريق، مطوّر لم ينسلخ من عباءة القديم.

ومنهم من ينتقي طائفة بعينها من الألفاظ يخلع عليها دلالات جديدة، ويتخذ منها رموزًا لإحساسه وموقفه من الطبيعة والمجتمع، بحيث يغلب على أسلوبه طابع التجديد والابتكار والحداثة الظاهرة، وربما أسرف البعض في نزوعه إلى الحداثة وتأثره بأصول الرومانتيكية في الغرب فحشد في شعره طائفة من الكلمات الأجنبية، وقد استعمل شاعرنا فهد بعض هذه الكلمات الأجنبية بصورة قليلة جدا.

ومن الأفكار السائدة عند هؤلاء الشعراء الوجدانيين أنهم عدلوا عن إطار القصيدة القديمة أو ما يسمى بالشعر العمودي في صورته القديمة إلى القصيدة القائمة على نظام المقطوعة، والحق أنهم قد زاوجوا بين النسقين، وكان أغلب شعرهم – وبخاصة في المراحل الأولى – في إطار القصيدة التقليدي، فأصبحت القصيدة في الإطار التقليدي ذات مسحة عصرية غالبة في معجمها وعباراتها وبناء صورها.[1]

وشاعرنا العسكر في معظم أشعاره قد التزم النمط القديم، ولم يحد عنه إلا نادرا؛ فحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة والتزم عددا ثابتا من التفعيلات تماما كما يفعل القدماء، وقد كانت رومانتيكية العسكر في المضمون أكثر منها في الشكل.

ولما كان الاتجاه الوجداني قد بدأ مع حركة الأحياء أو بعدها بقليل في نهايات القرن التاسع عشر، ثم نما مع حركات التجديد، والتي تمثلت في مدرسة المهجر

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص١٦.

وجماعة الديوان وأبولو حتى ازدهر في العقد الثالث من القرن العشرين، فقد عاصر فهد العسكر أخصب الفترات التي ظهر فيها الاتجاه الوجداني في العالم العربي، ونهل من كل المدارس الوجدانية بصورة جعلته أحد رواد ذلك المذهب في بلده خاصة وفي العالم العربي بصور عامة.

السيرة الذاتية لفهد العسكر[1]

فهد العسكر شاعرٌ كويتيٌّ أثار جدلًا كبيرًا في الكويت والخليج العربي منذ بداية كتابته للشعر، ويُعتبر واحدًا من كبار الشعراء الكويتيين الذين دعوا إلى التجديد والانفتاح على العالم الخارجي، نشأ في بيئةٍ محافظة تهتم بأمور الدين، مما ساهم في زيادة حبّه للغة العربية وشغفه بقراءة كتابات أهم الشعراء العرب على مرّ التاريخ.

تتلمذ على يدي الشاعر محمود شوقي قبل أن يشق طريقه بنفسه متبعًا أسلوبًا فريدًا خاصًا به، فكان مدرسةً أدبيةً وشعريةً، ولم يتبق من أشعاره إلا ما جمعه أصدقاؤه المقربون، والتي تحكي قصة عزلته وحياته البائسة؛ حيث تُوفي وحيدًا منعزلًا عن الناس بعد أن اختار الابتعاد عن أهله.

بدايات فهد العسكر:

وُلد الشاعر فهد بن صالح بن محمد بن عبدالله بن علي العسكر الظفري المشهور باسم فهد العسكر في عام ١٩١٧م في الكويت، كان والده إمام جامع ومدرسًا للقرآن الكريم، فنشأ فهد على تعاليم الدين وأحكامه، وفي عام ١٩٢٢م التحق بالمدرسة المباركية وهي أول مدرسة حكومية تُبنى في الكويت، ثمَّ التحق بالمدرسة الأحمدية.

(١) ينظر: معصية فهد العسكر – عقيل يوسف عيدان – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م – ص٢٠٥ وما بعدها – وينظر أيضا:
https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar

إنجازات فهد العسكر:

بدأ شغف فهد العسكر بالشعر والأدب منذ تواجده في المدرسة المباركية، حيث قرأ شعر المتنبي وأبي تمام والفرزدق، في بداياته تعلّم على يدي الشاعر الكبير محمود شوقي، ثمَّ وضع نهجه الخاص في كتابة الشعر المعاصر ليكون من أوائل شعراء التنوير في الكويت.

في تلك الفترة كان يقرأ كل ما تقع عليه يده من كتبٍ فلسفيةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ واجتماعية، ما أكسبه مزيدًا من الثقافة والانفتاح الذي كان يزداد وضوحه بالتدريج في أشعاره، وبدأ يواجه نظرات المجتمع غير المتقبلة لآرائه وأفكاره، وبالرغم من ذلك لم يرضخ للعادات واستمرَّ في تمرده وكتابة القصائد الناقمة على مجتمعه.

ازدادت شهرة فهد العسكر، ووصلت إلى المملكة العربية السعودية، عندما مدح الملك الراحل عبد العزيز آل سعود بإحدى قصائده، وقام بغنائها وتلحينها المطرب عبد اللطيف الكويتي، فسمع الملك بالقصيدة وطلب مقابلة فهد العسكر وعيّنه كاتبًا لدى الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، إلّا أنَّ فهد لم يحتمل العيش خارج بلاده، وطلب السماح له بالعودة إلى الكويت.

بالرغم من محبة والديه وتأمينهم له حياةً مريحةً في منزلهم، تعرّض فهد للكثير من العنت من قبل الرافضين لفكره، وقد عبّر في إحدى قصائده عن حالة الاستياء والانعزال التي وصل إليها قائلًا:

نصيبك يا نفسي شقاء وحرمان وحظي من الأيام زور وبهتان[1]

(١) وهذه القصيدة ليست من بين قصائده التي جمعها الأنصاري ويظهر أنه أعدمها مع القصائد الأخرى التي كان يخفيها عن الناس، وقيل إن أهله أعدموها.ينظر::
http://www.3rbi.info/Article.

قرر فهد العسكر بعد وفاة والده أن يعيش وحيدًا؛ ليتفرغ لكتابة الشعر، وهنا بدأت معاناته الجديدة مع والدته وشقيقه حيث رفضا رغبته في حصوله على ميراثه من والده، وقد كتب قصيدة تعبيرًا عن حزنه من فعل والدته، وشكا فيها الوحدة والألم يقول فيها:

كُفّـي المـلام وعللينـي فالشـكُّ أودى باليقيـن
وتناهبـت كبـدي الشـجونُ فمـن مجيري من شـجوني؟
وأنـا السـجينُ بعقـرِ داري فاسـمعي شكوى السـجينِ[1]

انفصل بعد ذلك عن والدته وشقيقه وانتقل للعيش بمفرده، حيث أمضى سنواته الأخيرة منعزلًا عن المجتمع، وفقد بصره، ولم يكن يزوره إلا بعض الأصدقاء وفي بعض الأحيان والدته، ولم يكتب في تلك الفترة سوى قصيدة واحدة مدح فيها الأمير الحادي عشر للكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح، وقال فيها:

جـاءَ الربيـعُ وأنـت راقـد قـم واشـدُ يـا ربَّ القصائـد

وكانت تلك القصيدة آخر ماكتبه قبل أن يقضي نحبه.

وفاة فهد العسكر:

أُصيب فهد العسكر بمرض السُّلّ، وعانى في أيامه الأخيرة من فقدان البصر حتى تُوفي في الخامس عشر من شهر أغسطس سنة١٩٥١م في مستشفى الأميري بالكويت، في الرابعة والثلاثين من عمره.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت - الطبعة الخامسة - ١٩٩٧م - ص١٢٧.

صلّى على جثمانه إمام جامع المديرس الشيخ عثمان عيسى العصفور، بغياب كامل لعائلته؛ حيث لم يحضر جنازته أكثر من خمسة أشخاص، ودُفن في المقبرة العامة.

وبعد وفاته أحرق أقاربه جميع مؤلفاته وأشعاره ولم يبق منها إلا ما حفظه أصدقاؤه ومحبوه، حيث جمعها الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري الذي نشر في عام ١٩٥٦م كتابًا يتحدث عن السيرة الذاتية للشاعر فهد العسكر، ويضم ما تبقى من أشعاره.

كرمته مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين في عام ٢٠٠١ بإصدار جائزةٍ شعرية باسمه، كما صدر في عام ٢٠٠٩ طوابع بريدية باسمه تخليدًا لذكراه.

قال عنه فاروق شوشة: هذا شاعر سبق عصره وجاء قبل أوانه بعشرات السنين فكان اصطدامه العنيف بمجتمعه الكويتي، تقاليد وأوضاع اجتماعية وثقافة حياة، ولم تكن صرامة الواقع وجهامته الغليظة لتسمح له ببعض الحرية، أو بالتعبير الصريح عن الذات، من هنا كان انكفاؤه وتوحده، ثم انعزاله ولزوم محبسه الذي اختاره لنفسه، بعد أن اتُّهم بالكفر والمروق والعصيان، وعندما هيّأت له الأقدار فقدان البصر، ظل وخز بصيرته يدميه، ويؤلّب عليه جيوش الظلام الموغل، حتى وافته المنية في عام ١٩٥١ قبل أن يكمل عقده الرابع، وسنه نيّف وثلاثون، وتكفّل أهله بخاتمة الفجيعة حين أحرقوا ما وقع تحت أيديهم من شعره، الذي أفلت منه أقل القليل[١].

وفي هذا القليل من شعر شاعر الكويت الفذ فهد العسكر دلائل على عبقريته وتفرده، واتساع عالمه الشعري ورحابته، وعمق تناوله لتجارب الوجود الإنساني

(١) فاروق شوشة – مقالة بمجلة العربي – فبراير ١٩٩٦م – www.3rbi.info.

فضلًا عن لهيب الثورة والتمرد في قصائده التي هتف بها بعض مؤيديه جهرًا ورددها معظم مريديه سرًا، وتبادلها المجتمع كلُّه من موقع الدهشة والغرابة أو النفور والاستنكار.

ولم يكن فهد العسكر بعيدًا عن حركات التجديد الشعرية التي صبغت سماء الشعر في ثلاثينيات القرن وأربعينياته بألوانها وظلالها وإيقاعاتها وتجاربها الشديدة الجدة والاختلاف، وفي مقدمتها شعر المهجر وشعر جماعة الديوان وشعر جماعة أبولو، لذا فإن شعره يتسم بعمق النزعة الوجدانية الموغلة في التأمل والاستيطان التي تبنتها جماعة الديوان ممثلة في روادها الثلاثة: عباس محمود العقاد وإبراهيم عبدالقادر المازني وعبدالرحمن شكري.

كما يتسم شعره بشمول النزعة الإنسانية التي تبنتها جماعة المهجر ممثلة في آثار جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي وأمين الريحاني وشفيق معلوف، فضلًا عن النزعة العاطفية المسرفة التي اتسمت بها أشعار جماعة أبولو ممثلة في شعر إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل ومحمد عبدالمعطي الهمشري وغيرهم وهي نزعةٌ أطلقت العنان للخيال المجنح، وتدفقت روافدها بالحزن الشديد والتشاؤم العدمي، واتسعت في الكثير من نماذجها لغنائيات الطبيعة، خاصة في صورتها الريفية رمزًا للنقاء والبراءة، وأصبح لأصوات الطبيعة وكائناتها الحية وجود شعري بارز، حافل بالدلالات والرموز والإيحاءات.

كان فهد العسكر ثائرًا ومجددًا في مجتمع ساكن، وكان مستقبليًا في حياة ترتد إلى الوراء وتجمد عند اللحظة الحاضرة في ثبات وتحجر، وكان ينفخ من روحه الوثابة في

قصيدته الجديدة بما يصدم عقول الناس وأذواقهم، وكان يبدع قصيدة الصدق وسط حياة أدبية تملؤها قصيدة الزيف والصنعة والتقليد، ويحطم القيود التي كبّلت أرواحًا استسلمت للعبودية واستكانت للرق، وهو بهذا المعنى شاعر فيلسوف تنساب ومضات فلسفته في شعره، وتختفي وراء أقنعة الرمز والإيحاء، ويتطلب التواصل معها قراءة متأنية فاحصة تكافئ ما بذله الشاعر في شعره من جهد إبداعي، وما رسمه من صور شعرية جديدة مركبة، وما بثّه من إيقاعات داخلية تواكب حركة النفس، وتوائم جو القصيدة وطقسها الأساسي، بينما فضاء القصيدة مفتوح دومًا على آفاق الدهشة والتساؤل[1].

وأنا وإن كتبت عن العسكر مشدودا بعاطفته الجياشة التي تنساب من خلال أشعاره، إلا أنني لا أقرّ - جزما - بأبيات للشاعر يصف فيها جسد محبوبته وصفا خادشا للحياء ولا بأبيات له يذكر فيها نشواه بشرب الخمر، فكل ما يتنافى مع الشرع من شعر الشاعر لا أقرّه ولا أرضاه، وقد حاولت قدر جهدي أن أبرز جماليات شعر العسكر متجنبًا في ذلك أي شعر يخدش الحياء أو ينافي الفضيلة، مع إيماني الشديد برسالة الأدب التي لابد أن تتوافق وقيمنا العربية الأصيلة المستقاة من ديننا الإسلاميّ الحنيف، والله من وراء القصد.

(١) فاروق شوشة - مقالة بمجلة العربي - فبراير ١٩٩٦م - www.3rbi.info.

ملامح الاتجاه الوجداني
عند الشاعر فهد العسكر

ملامح الاتجاه الوجداني عند فهد العسكر

توفر لفهد العسكر معظم الدوافع التي تحدو به وتدفعه إلى تمثُّل الاتجاه الوجداني في حياته؛ فالشاعر لم يتكلف السير في طريق الشعر الوجداني، بل كانت حياته وما مر به من صعاب ومشكلات هي الباعث الحقيقي على هذه التجربة، ولعل هذا ما جعل النقاد تلمس في شعر فهد صدقًا شعوريًا، فقد كان شعره مرآة لحياته، وصورة صادقة معبرة عن معاناة شاعر أبت نفسه الرضوخ لسيطرة عادات مجتمعه، والخضوع للتقاليد – التي رآها هو – تتنافى وروحَه المتمردة الثائرة.

وأريد أن ألفت النظر إلى مسألة هامة، وهي أن عمدة الدراسة تتمثل في بيان ملامح الاتجاه الوجداني عند فهد العسكر، إلا أنني احتجت في بعض الأحيان إلى ذكر نماذج لشعراء آخرين من هذا الاتجاه، ليس تعميمًا للدراسة، وإنما للاستشهاد بأن هذه الظاهرة أو تلك القضية هي من المسائل المشتركة عند كثير من الرومانتيكيين، لم ينفرد بها العسكر، بل تمثل ظاهرة شائعة عند معظم شعراء الاتجاه الرومانتيكي، فأفضل ما يمكن الاستشهاد به على شيوع القضية عندهم هو الاستشهاد بأشعارهم في المقام الأول، وذاك أجدى من الاستشهاد بكلام نقاد رصدوا التجربة من خلال ما درسوه من شعر لشعراء الرومانتيكية، وإن كان لا غنى أيضا عن تعليقات نقادنا الكبار.وفيما يلي نبين هذه الملامح مفصلة من خلال شعره.

(١) الولوع بالطبيعة

الشاعر الوجداني بصورة عامة وفهد بصورة خاصة في تطلعه للحرية يفر من نفسه ومن مجتمعه -بكل ما فيه من قيود تحد من إطلاق الشاعر لجماح النفس- إلى الطبيعة، حيث يجد العسكر في الطبيعة وصفائها وجمالها ورحابتها ما يفتقده في حياته الباطنية الحافلة بالصراع، وفي حياته الاجتماعية المليئة بالتناقض، ويتخذ من بعض مشاهدها رموزًا لمعاني الحرية الشاعرية والانطلاق البريء، فالفراشة والزنبقة والبلبل وغيرها تمثل لديهم الانطلاق في رحاب من الجمال بهدي من الفطرة ووحي من السماء[١].

على أن شاعرنا العسكر في معالجته لمظاهر الطبيعة في شعره قد يكتفي أحيانا بالإشارة إلى ما ركب في هذه الكائنات من هيام بالجمال وعشق للحرية كقوله:

طلَـعَ الفَجْـرُ غَـنِّ يـا قُمْريَّـهْ ... واطْربِـي الرُّوحَ بالأَغاني الشَـجِيَّهْ
واشْـدُ يـا طَيْـرُ بالغُصـون وأَيقِظْ ... بأَناشـيدِكَ الزُّهـور النديَّـه
مـلأَ الفَجْـرُ أَكـؤُسَ الـورْدِ راحًا ... لـكَ تُـزْري بالصِّرْفـةِ البابليَّـه
فـإذا مـا اصْطبحْتَ يـا طيْـرُ عبِّر ... مـا رأَى الـورْدُ مـن رؤى سـحرِّيه
وتَقَبَّـلْ وأَنْـتَ نَشْـوانُ شـادٍ ... قُبَـلاتِ النَّسـائِم العِطْريَّـه
هَـا هُـو الصُّبْـحُ قـد تَبـدَّى تُحَلّى ... ثغْـرَهُ الحُلْـوَ بسْـمةٌ ورْديَّـه
وَانْظُـرِ الكَـوْنَ كيـفَ يرْفُـلُ يـا ... طَيْـرْ بتلكَ الغَلائِلِ العَسْـجَديَّه[٢]

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر - مكتبة الشباب - القاهرة - ١٩٨٨ - ص٣٠٠.

(٢) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١١٥.

فالشاعر يقلب بصره في الطبيعة من حوله، ويرسم لوحة معبرة إلا أننا لم نلحظ من خلال الأبيات إلا أنها وصف مجرد لم يربطه الشاعر بحالة خاصة من حالالته ولم يرمز بها إلى شيء مما يروم الحديث عنه.

وأحيانا يلحُّ في الدلالات فيرسم للطبيعة صورة مركبة يمتزج فيها الرمز بما يحوطه من مظاهر الطبيعة حتى ينتهي إلى لوحة متكاملة الأجزاء والدلالة كقوله:

يـا ليتنـي فـوق الغصـون حمامة ... لأنـوح بالآصـال والأسحـار
عَلّـي أرى في الـروض من يُفضي ... إلـيّ بسـرّه وأبثّـه أسـراري
أو أنّني بيـن النسـائم نسـمة ... لأبشّـر الأطيـار فـي آذار
وأطـوف بعـد الأرض آفاق السـما ... لأرى مـكان حبيبـي المتـواري
يـا ليتنـي بيـن الـورود فراشـة ... تروي الصدى من أكؤس الأزهار
حتّـى إذا شـفت الغليـل تعطشـت ... للمـوت واندفعـت بجـوف النـار
أو أننـي يـا فجـر قبّـرة أرفـ ... ـرف فـي جناحي بالفضـاء العاري
لأردّد النـغمـات سـكرانا ... بخمر الحسـن قبـل تألّـق الأنوار
يـا ليتنـي بيـن الروابـي ربـوة ... خضـراء مشـرقة علـى الوديـان
لأكـون منبـر كل طيـر صـادحٍ ... ويكـون سـفحي مسـرح الغـزلان
أو أننـي وسـط الحدائـق جـدول ... ينسـاب بيـن الـورد والريحـان
لترفـرف الأطيـار فـوق مياهـه ... سـكرى ترجّـع أعـذب الألحـان
يـا ليتني طير لأسـبح فـي الفضا ... وأؤوب مغتبطًـا مـع الأطيـار
أو بلبـل لأشـنّف الأسـماع بالنـ ... ـغـم الرقيـق علـى ذرى الأشـجار
أو أننـي للعـود أمسـي ريشـة ... لتمـرّ بـي الأيـدي علـى الأوتـار

لأبثّها شكوى الهوى فلعلّها ... ترثي لحال العاشق المحتار
يا ليتني يا ليتني قمريّة ... لائنّ بالإصباح والإمساء
عليّ أثير بقلب كلّ مليحة ... عطفًا على البؤسا من الشعراء
أو أنّني وسط الرياض خميلة ... لأعطّر الأجواء بالأشذاء
أو وردةٌ صاغ الربيع جمالها ... لترشّني الأصباح بالأنداء
فلكم تراءى لي الخيال حقيقة ... فيخالني الرائي صريع عقار
فأفيق مذهولًا وأهتف من أنا ... فأجاب مجنون بعقر الدار
يا حبّ بين يديك نفسي تشتكي ... أفما كشفت غوامض الأسرار
يا حبّ أحلام الغرام جميلة ... رحماك فهي قصيرة الأعمار[1]

والعسكر في هذه التجربة يلامس الرومانسية في تصورها للطبيعة وتعبيرها عنها بالألفاظ الموحية واللفتات الخيالية التي لا يحد من انطلاقها اتزان العقل.

وشاعرنا يلمس في هذه الأبيات ما تتمتع به الكائنات من صفاء الحياة وخلو حياتهم من الكدر الذي يصيب البشر فيتمنى لو كان واحدًا من هذه المخلوقات، يتمتع بما يتمتعون به من الحرية والانطلاق بلا قيد، فيشارك الطبيعة لهوها البريء.

والبلبل عند الرومانسيين عمومًا رمز للحرية؛ حيث يتخذون من غنائه دليلا على سعادته بما هو فيه من حرية وهو إذا كف عن الغناء لا بد أن يكون في قبضة أسر أو غم أو فقد، وما أكثر ما شبه الشعراء قول الشعر بغناء الأطيار، يقول شاعرنا:

قم واصطبح فكؤوس الورد مترعة ... من خمرة الفجر إن الفجر قد بانا
وارقص وصفق وطر واهتف وغن به ... وحيه واسكب الأشواق ألحانا

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص٢٣٢ - ٢٣٣.

كـم نغمـة صغت مـن إلهـام روعته ووحـي طلعتـه فاصـدح بهـا الآنـا[1]

وشبهوا الشاعر الذي كف عن قول الشعر بالبلبل الحبيس أو الثاكل الحزين

قـد طـال هجـرك يـا ربيـع فيـا لتعاسـة الأطيـــار والزهـر[2]

وشبه محبوبته بالطائر الذي وقع في شراك الصياد حين عجز الشاعر عن الزواج منها، وتزوجها شيخ كبير يملك المال، يقول:

إنْ جُعـتَ يـا صيـادُ ويحـك لا تتعـبْ وخـلِّ الصيـدَ في الشـجرِ

وتعـال حدثنـا وصـــلِّ بنـا وأكـــل كغيرِك أطيبَ الثمرِ[3]

إن إقبال العسكر على الطبيعة (وإن ظهر في أغلبه تطلعا إلى الحرية الذاتية واحتجاجًا على المجتمع والحياة) يعود في جانب منه إلى ما عرف عن الشاعر الرومانتيكي بصفة عامة من عشق للجمال في جميع مظاهره، ويتلوّن جمال الطبيعة عنده حسب مزاج الشاعر وأحواله النفسية، حتى توشك عناصر الطبيعة أن تفقد لديهم وجودها الواقعي فيصبح المشهد الواحد في قصيدة ما غيره في قصيدة أخرى، سواء في مظهره الخارجي أو دلالته النفسية والعاطفية.

فبينما يرى مطران في مشهد الغروب صورة تجسد نهايته، فصبغ صورة الكون بشفقه وقت الغروب بلون دموي يبعث على الأسى والحزن، ويشفُّ عن نفس ممزقة قد أضناها الحب وأدماها الفراق، فنراه يقول في قصيدته المساء:

يَـا لَلْغُـرُوبِ وَمَا بِـهِ مِـنْ عَـبْـرَةٍ لِلْمُسْتَهَامِ وَعِبْـرَةٍ لِلرَّائِـي!

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٨١.
(٢) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٥٦.
(٣) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٥٦.

أَوَلَيْسَ نَزْعًا لِلنَّهَارِ وَصَرْعَةً ... لِلشَّمْسِ بَيْنَ مَآتِمِ الْأَضْوَاءِ؟
أَوَلَيْسَ طَمْسًا لِلْيَقِينِ وَمَبْعَثًا ... لِلشَّكِّ بَيْنَ غَلَائِلِ الظَّلْمَاءِ؟
أَوَلَيْسَ مَحْوًا لِلْوُجُودِ إِلَى مَدًى ... وَإِبَادَةً لِمَعَالِمِ الْأَشْيَاءِ؟
حَتَّى يَكُونَ النُّورُ تَجْدِيدًا لَهَا ... وَيَكُونَ شِبْهَ الْبَعْثِ عَوْدُ ذَكَاءِ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالنَّهَارُ مُوَدِّعٌ ... وَالْقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ
وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَاهَ نَوَاظِرِي ... كَلْمَى كَدَامِيَةِ السَّحَابِ إِزَائِي
وَالدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي يَسِيلُ مُشَعْشَعًا ... بِسَنَى الشُّعَاعِ الْغَارِبِ الْمُتَرَائِي
وَالشَّمْسُ فِي شَفَقٍ يَسِيلُ نُضَارُهُ ... فَوْقَ الْعَقِيقِ عَلَى ذُرَى سَوْدَاءِ
مَرَّتْ خِلَالَ غَمَامَتَيْنِ تَحَدُّرًا ... وَتَقَطَّرَتْ كَالدَّمْعَةِ الْحَمْرَاءِ
فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ لِلْكَوْنِ قَدْ ... مُزِجَتْ بِآخِرِ أَدْمُعِي لِرِثَائِي
وَكَأَنَّنِي آنَسْتُ يَوْمِي زَائِلًا ... فَرَأَيْتُ فِي الْمِرْآةِ كَيْفَ مَسَائِي[1]

ونحن بحاجة لمقارنة العسكر بغيره من شعراء الرومانتيكية؛ حتى تتضح الصورة، فمطران قد التحمت نفسه بمشهد الغروب فأضفت على الكون كآبة وحزن نابعة من صميم نفسه المعذبة الحزينة، فهو يشعر أن الكون ساعة الغروب يشاطره تلك الحالة، أو أن ما في الكون من ظلمة هو نتاج ما يقاسيه الشاعر من أحزان.

وشاعرنا العسكر يرى في مشهد الغروب ما يراه مطران، ففي قصيدته «الشاعر والغروب» يرى في مشهد غروب الشمس داعيا يهيج بكاءه ويزيد بؤسه، فيصور الشمس وقت غروبها بالشخص الشاحب الذي تغير لونه من جراء الإعياء الذي

(١) خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – ص١٠٥ – ١٠٦.

انتابه، وهو ذاته الشحوب الذي ألمّ بالشاعر، فالعسكر كمطران رأى في غروب الشمس مرآة تعكس وجدانه المعذب، ولكن العسكر استرسل وأكمل الصورة ولم يتوقف عند مشهد المغيب كمطران، بل صور لنا الليل عدوا يهجم بأشباحه ليزيد ما بالشاعر من حزن واضطراب.

أيّهذا الشاعر المغترب الباكي أصيلا

حسبك الله تجلّد واتّئد واهدأ قليلا

وأصِخْ لي واتخذني يا أخا البؤسِ خليلا

فكلانا لم يجد إلا إلى (الآل) سبيلا

يارفيقي يارسول الحبّ في دنيا القلوبِ

مالذي أشجاك ؟ هل سُخريةُ الآلِ الكذوبِ

أم شحوبُ الشمسِ أم ماتركت بعد الغروبِ

أم هجومُ الليلِ بالأشباحِ في الشاطي الصخوبِ

كفكف الدمعَ فما أثمن دمع البؤساءِ

هو عند الله أزكى من دماءِ الشهداءِ

وادّخر ماتركت منه العوادي للشتاءِ

عندما تهتفُ ذكرى الصُبحِ في صمت المساءِ

هاكَ كوبي واغتبق في مأتمِ الفصلِ الغَضُوبِ

علَّ في النهلةِ مايشفي ولو بعضَ الريوبِ

والتمس للنفسِ والقلبِ عزاءً في شُحوبي

فالخطوبُ الغُبر لم تترك بكفّي غير كوبي

ياطريد الدهرِ والنحسِ قرين الشُعراءِ

سائل الليل فبي مابك من داءٍ عَياء

وكِلا الداءين من دنيا المآسي والعناءِ

فالأذى والبؤسُ فيها حظُّ أبناء السماءِ

إن تسلني فانا ابن الريبِ مذ كنتُ صبيّا

آه ما أشقى الذي يوهب حسًّا شاعريًا

الشجَى والأرَقُ امتصا السنى من مُقلتيّا

كذبوا والله لم أُطفىء سراجي بيديّا

كم رمى الأوغادُ والأهدافُ أفذاذٌ كرامُ

آثروا الصمت وغبنٌ أن يصابوا وحرامُ

وقديمًا قالها شاعرنا الفحلُ الهمامُ

«ما أنا منهم ولكن معدنُ التبر الرَّغامُ»

الأكاذيبُ -وقد طال سكوتي والقعودُ-

أصبحت رائجةً، لاعاشَ في الناسِ الحسودُ

يُوقدُ النارَ فيصلاها، وتخبو، فيَعودُ

والأراجيفُ سلاحٌ والنّميماتُ جنودُ

آه من عا صفةٍ هوجاءَ في نفسي الشقيّة

زلزلت قلبي، وأودت برؤاهُ الذهبية

أنا في طخياءَ كم للهمِّ فيها من ضحيّة

لم تغيِّب شاعرًا إلا ووافته المنية[1]

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص٢٠٠ - ٢٠١.

فكلا الشاعرين: العسكر ومطران قد رأيا في مشهد الغروب إرهاصات المنية، إلا أن مطران قد كان متأثرا بفراق محبوبته، والعسكر تأثر بكلام حُسّاده وشانئيه ممن ينسجون حوله الأراجيف والأكاذيب، وهو عاجزٌ عن تبرئة نفسه فبات ضحية الهمّ وفريسة القلق.

الليل في شعر العسكر:

قلَّ أن تجد للعسكر قصيدة تعتني بتصوير جمال الطبيعة تصويرًا خالصًا لذلك الجمال وحده، بل لا بدّ أن تتخلله بصورة أو بأخرى حالات الشاعر من فرحة وحزن وأمل ويأس إلخ.

اتخذ العسكر من الليل وسيلة يبث من خلالها همومه ويعبر عن ضجره بالحياة والناس، فالليل عنده قد يكتسب بعدًا أعمق وأرحب، فيجد الشاعر فيه مؤنسا يشكوه آلامه وأحزانه، يقول العسكر:

يـا ليـلُ ضاقـت بشـكوايَ الصـدورُ ومـا
ضـاقَـت بـغـلٍّ وأحـقـادٍ وأضـغـان
فجـئتُ أشكـو إليـكَ المرجفيـنَ وهـم
لا درَّ درُّهُـم أسـبـابُ خـذلانـي
يـا ليـلُ والـروح عَطشـى وهـيَ هائِمـةٌ
هَـل فـي المجـرّةِ مـن ريٍّ لعطشـانِ
يـا ليـلُ والنفـسُ غَرثـى وهـيَ حـائرةٌ
فهَـل بـنَجـمِـكَ مـن زادٍ لغَـرثـانِ
يـا ليـلُ والعيـنُ سهـرى وهـيَ دامـعةٌ
فـهَـل بـجُـنـحِـكَ مـن راثٍ لسَهـرانِ

يـا ليـلُ حَسبـي وصـدري مـلؤهُ ضرمٌ
تـلكَ البقـيَّةُ فافتَـح صَـدركَ الحانـي
فكَـم بـهِ لمَسَـت روحـي العـزاءَ وقـد
أودَعَـتـهُ سـرّ آلامـي وأشجانـي
يـا ليـلُ أيـنَ الكـرى بـل أيـنَ طيفهُـم
فكَـم بـوادي الكـرى يـا ليـلُ واسـاني
وكـم هَفَـت وَصَبَـت نفسـي إلى حُلُمٍ
مُجنّـحٍ راقـصٍ فـي النـورِ نَشـوانِ
حُـلمٌ يـرفُّ عـلى لالاءِ مَبسِمهـا
ليـلًا ويَصـدرُ صُبحًا غيـرَ صَديانِ [1]

التفت الشاعر إلى بعض مشاهد الليل، وانتقى منها ما يرتبط بالتشاؤم والخوف أو ما يبعث كامن الأشجان ويثير الأوهام والهواجس، مصرحًا خلال ذلك بهمومه ووحدته متسائلا في حيرة عن سر كآبته الدائمة المجهولة، وشاعرنا يصرح بأن الذي يملؤه من الحزن والهم ليس مصدره الأحقاد والأضغان وإنما مبعثه هؤلاء المرجفون المروجون للأكاذيب فهو يبحث عن صديق يرأف لحاله فلم يجد إلا الليل مؤنسا ورفيقا.

الخليج العربي في شعر العسكر:

خرج حديث الشاعر إلى الخليج كحديثه إلى الليل؛ فهو الخليل الذي يبثه آماله الضائعة وآلامه المكتمة وشكواه من هؤلاء المنتفعين المرتزِقة الذين لا يحسنون سوى المداهنة والكذب والتزلف لذوي النفوذ والسلطان، يقول العسكر:

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤١.

يـا ضفـافَ الخليـجِ أخمَـدتَ إحساسي وماذا تجني وراءَ خمولي
غيـرَ حـرقِ البخـورِ فـي كلّ آنٍ وضـروبِ التزميـرِ والتطبيـل
فاطـغَ يا بحـرُ آن أن تطغى واغمُر كلّ ربـعٍ مـنَ الربـوعِ محيـل
وانعَقـي يـا بـومُ انعقـي لا تخافي وانعَبـي يـا غربـانُ فـوقَ الطلـول
واصرَخي يا جنـوبُ في كلّ وجه كالـح واعصِفـي بجفـنِ الدخيلِ
وقفـي يا شـمسَ الهجيـر وصُبّيهِ لعابًـا يَغلـي ببطـنِ الأكـولِ
واخرجـي يـا أشـباحُ فـي غَيهَـبِ الغـي وطوفـي بطغمـةِ التدجيل
وارقُصـي وانفُثيـه سـما زعافًـا يـا أفاعـي الخنـا بـكل رذيـلِ
وانهشـي يـا عقـاربَ الحقـدِ مـن خصمـي بقايـا فـؤادهِ المأكـولِ
والفُـظِ الـروحَ يـا فقيـرُ ولا لـ ومَ علـى مَذبـحِ المرابي الكسـولِ
وانثُـرِ الشـوكَ أيّهـا الأرقُ المـرُّ علـى مضجـعِ الدعـيّ الملـولِ
واغسـلِ النفسَ أيها الخائنُ النادمُ بالدمـعِ فهـوَ خيـرُ غسـولِ
والطمـي الصـدرَ يـا ابنـةَ الـطَ هـر وابكيهِ فللّـهِ قلـبُ كل ثكولِ
يـا ضِفـافَ الخليـجِ حطّمـتَ آمـا لـي وأثقلـتَ كاهـلَ المسـؤولِ
أنـتَ يـا مسـرحَ الأسـى والرزايـا وصُنـوف العـذابِ والتنكيـلِ
ضِقـتَ بـي والجناحُ منّـى مهيضٌ يـا لَحُزنـي وحيرَتـي وذُهولـي
لـم يَطـب لي لـولا الحبيـبُ مقام بـك يـا سـجنَ كل حـرّ نبيـلِ
فحياتـي روايـةٌ ذاتُ فصـلٍ واحـدٍ فيـكَ وهـيَ ذاتُ فصـولِ
أنـا مثّلتُهـا على مسـرحِ الحرمان والبـؤسِ وانتَهـى تمثيلـي
وبقَلبـي داءٌ وفـي النفسِ مـا فيها وعـاثَ الضنـى بجسـمي النحيـلِ

وبصَـدري سـرٌّ دَفيـنٌ فـوا ... خوفـي عليـهِ مـن قلبـيَ المتبولِ
آهِ مَـن لـي ولَـو ببعـضِ التأسّـي ... أنـا إن لـم أمُـت فبعـدَ قليـلِ
احفروا لي قبرًا على شاطىء البحر ... سـميري فـي وحدَتـي ومُقيلـي
لـم تَطِـب لـي دُنيـا الشـقاءِ فـوا ... لهفـي وشَـوقي للعالـمِ المجهول
يـا ضِفـافَ الخليـج شـرّدتَ ... أحلامي فدَع لي عواطفي ومُيولي[1]

إلا أن الشاعر هنا يطلب من الخليج وما حوله من مظاهر الطبيعة أن تنتقم من هؤلاء المفسدين العابثين بمستقبل وطنه، فيطغى البحر وتنعق البوم والغربان وتعصف بهم رياح الجنوب وتذيقهم الشمس من لهيبها صنوفًا من العذاب، ولتخرج الأفاعي والعقارب من جحورها لتنفث سمومها في خصوم العسكر الذين دنسوا الطهر ولوثوا الشرف وأرّقوا حياته وأقلقوا نومه.

وشاعرنا في أبياته قد جمع بين تليد التشبيه والتعبيرات وطريفها فذكر جناحه المهيض وقلبه المتبول وإثقال الكاهل وتلك الصور والتعبيرات قديمة متكررة في الشعر القديم، واستعمل الطريف الحديث الذي شاع عند الرومانسيين بصفة عامة كقوله «أخمدت إحساسي» و «مسرح الحرمان «و «مسرح الأسى» و «الأرق المر» و «صبّيه لعابا يغلي» و «أفاعي الخنا» و «عقارب الحقد» و «مذبح المرابي» و «طغمة التدجيل «و «اغسل النفس» و «حياتي رواية»، وهذا دأب العسكر في جل قصائده؛ حيث ينزع إلى التطوير والحداثة مع أصالة راسخة في أعماقه تبدو واضحة في ثنايا التعبيرات والصور.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص ١٤٦ – ١٤٧.

الربيع في شعر العسكر:

استهل الشاعر فهد قصيدته في مدح أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح بمناسبة توليه زمام الحكم في الكويت عام ١٩٥٠م بمقدمة يصف فيها قدوم الربيع، فهو يشبه قدوم الأمير على الكويت بقدوم الربيع على البلاد، ولعل استفتاحه القصيدة بتلك المقدمة الوصفية قد شابه فيها الشاعر القديم الذي يبدأ بمقدمة طللية غزلية ثم يدلف إلى مدحه، إلا أن العسكر وهو الشاعر الرومانتيكي المنزع الثائر على القديم المتشبع به في ذات الوقت قد عدل عن وصف الديار التي عفت إلى وصف مظاهر الطبيعة في الربيع، فلم يفلت من القديم في البدء بمقدمة، ولم يتخل عن وجدانيته في اندماجه بالطبيعة.

ولعل ما يسوغ البدء بمقدمة وصفية لقصيدته في المدح هو مقامه بين يدي الأمير الذي يحكم جزءا من أرض الجزيرة العربية، وهي البيئة التي ابتدعت هذا النهج التليد للقصيدة العربية، يقول شاعرنا العسكر:

جاءَ الربيعُ وأنت راقدٌ ... قم واشدُ يا ربَّ القصائد

ما للبلابل حين يبـ ... ـتسم الصباح وللمراقد

لك في الرياض أسرّة ... لا كالأسرّة والوسائد

قم حيّه فيها وصُغ ... ببهائه أسنى الفرائد

غرّاء يغضي النيران ... لضوئها قبل الفراقد

والدر في الأصداف قبـ ... ـل الدر في جيد الخرائد

تروي محاسنها الكواكب ... للعرائس والنواهد

غرّد فكم أطربت مع ... بودًا وكم جنّحت عابد

أسكر بها الوادي على ... فرح الأقارب والأباعد
ودع الحداة يرقّصون بها ... الدراري في الفدافد
وذر الخليج بها يعيذ ... عروسه من كل حاسد
وأضف إلى الغرر الخوالد ... حليةً تسبي الخوالد
من درّك الغالي وغالي ... الدر يهدى للأماجد
والشاعر الحرّ الأبيّ ... يصونه والسوق كاسد
والشعر ما هفت النفوس ... له وبعض الشعر فاسد
والشعر ما اضطرم الشعور ... به وإلّا فهو بارد
والشعر في الأشراف حيّ ... خالد والمال نافد
ولآليء الوجدان ظلم ... أن تصاغ لغير ناقد
والصائغ الموهوب تلمع ... في قلائده قلائد
أهلًا وسهلًا بالربيع ... بمن به دنت الشوارد[1]

ومما تميزت به تلك القصيدة كونها قد تضمنت تعريفًا للشعر من وجهة نظر العسكر، فالشعر عنده ما تحركت النفوس شوقًا إليه فهو يجذبها بما يملكه من سلطان على قلوب المحبين له، والشعر ما ألهب المشاعر وأجج العواطف وأثار الوجدان، والشعر لآلئ صاغتها يد الصائغ لا يدرك قيمتها إلا الناقد الحاذق الذي يقدّره، وهو يشبه الشاعر بالصائغ الذي لمعت في يده المعاني كما يلمع الذهب المصقول، ونراه في تعريفه متأثرا بمعاني الشعر عند الوجدانيين، يقول مطران بشأن هذا المعنى: «كذلك حاولت أن أصنع شعري، وأعرف أنني لست من العلم واقتدار الفكر في المكان الذي

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٦.

يبلغني منه أدنى مرام، ولكنني تيقنت أن ما أردته به من أغراض قد نفذ إلى قلوب قارئيه وأحدث فيها ما أبتغيه من الأثر»[١] .

فكلا الشاعرين: مطران والعسكر قد جعل جُلَّ غايته هو النفاذ إلى قلوب قرّائه من خلال ما يكتب من شعر يُعلي في المقام الأول من شأن العاطفة، فيعزف لحنه على أوتار قلوب محبيه.

الخريف في شعر العسكر:

الخريف عند العسكر نذير فراق وشقاء، مؤذن بحلول السكون بعد صخب الصيف، فليالي الصيف في عنفوانها وسمرها واجتماع الأحبة ليست كليالي الشتاء الباردة الخالية من مظاهر الحياة، وشاعرنا في قصيدته «من وحي الخريف «يبرز هذه المفارقة، بين ما كان في الصيف من وصال ونشوة بقرب المحبوبة، وبين ما حلّ به من ضيق وضجر بسبب قدوم الخريف وتفرق الأحبة، يقول العسكر:

إنّ لـي عـنـدك لحـنًـا ... هـاتـه يـا مـوج هاتـه
مـن لحـون هـتـف الصـيـ ... ـفُ بهـا فـي أُمسياتـه
فهـي للقلب وكم رتّلها ... فـي صـلواتِـه
أنـا فـي معبـده قـد ... صغتهـا مـن عبراتـه
كـن ضنينًـا أيهـا الليـ ... ـلُ بسـرّ قـد أذاعـه
تـائه يبحـث فـي جنحـك ... عـن كـنـزٍ أضاعـه
هـو كـالمـلّاح حيـن ... التهـم اليـمّ متاعـه
وانبـرى للريـح والمـوج ... فـلم تُغـن الشجاعـه

(١) خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – ص ١٦.

يـــا ليـــالي القـــرب والإل ... هـــام بـالمـاضـــي القـريـب
كـم تـراءى لي عـلى ذكـراك ... مـــن طـيـــف حـبـيـب
فـطـغـــى الشـــوق وقـد يلهـي ... النـــوى بـعـــض القـلـوب
مـــا أنـــا بـعـــدك بالحاسـي ... وبـــالشـــادي الطـــروب
يـــا نـدامـــى قـد تـحـدّى ... الهـمّ فـي قلبـي المدامـا
هـــاك كـأســـي هـــاك يـا ... ساقـــي وعـــذرا يـا ندامـى
وذرونـــي أجـــرع الصـاب ... وأسـتـوحـــي الظـلامـــا
فـأسـيـــر القـيـــد يصـلي ... كـاســـه نـــارا إذا مـــا
يـــا فتـــاة الأمـس واشوقـي ... لأمـســـي وفـتـــاتـــه
وهـــواء اليـــوم قـد هـبّ ... بـقـلبـــي مـــن سباتـــه
وإلـــى الشـاطـــئ والأمـــس ... مـضـــى فـــي حـسـنـاتـه
عـدت محمـولًا عـلى أجـنحةٍ ... مـــن ذكـريـــاتـــه
عـــودة طـــاف بـه العاشـق ... يـــا هـنـــد وجـــالا
يسـأل الشاطـــئ والأمـواج ... ليـــلًا والرمـــالا
والدُّجـــى والنجـــم والريـح ... جـنـــوبـــا وشـمـــالا
ولكـــم حيـــا بـــه طيفـا ... وكـــم نـاجـى خيـــالا
يـــا فتاتـي حسب مـن نـاداك ... فـــي الفـصـــل المخـيـف
حسـب مـــن كـهـفـه يـا ... ربّـــة القـصـــر المنـيـف
حسـبـــه مـــن هـنـده ... فـــي ثـورة الحـب العنيـف
قـبـــلـةٌ يـغـــرق فـي ... خـمـرتـهـا هـــمّ الخـريـف[1]

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص٢٠٢ - ٢٠٣.

والشاعر في مقارنته بين الصيف ببهائه والخريف بقسوة ملامحه قد سخّر كل عناصر الطبيعة للدلالة على ما يقرره؛ فعند ذكر الخريف يخيل إليه أن صوت أمواج الخليج صراخ مفزع وصوت الهواء عويل صادر من نفس معذَّبة، وكأن الكون من حوله قد تجمع في ذلك المأتم يرثي الصيف ولياليه الساهرة وهو يذكرنا بمأتم مطران في قصيدته سالفة الذكر[1].

أما الصيف فالطبيعة فيه مجموعة مؤتلفة متناسقة من اللحون الجميلة التي تبعث بالحبور في نفس الشاعر، ومصدر هذه اللحون الجميلة صوت محبوبته حينما تغنت بشعره، وصاحبتها صوت الأمواج في تآلف شكّل لحنًا جميلًا أفاض بالنشوة على روح الشاعر.

ثم يعاود الشاعر استحضار صورة الخريف الذي أضاع كل هذا فأصبح شاعرنا كالملاح الذي التهم الموج متاعه فصار حائرًا يبحث بين الأمواج الثائرة عليها، ولكن هيهات فليست شجاعته وحدها بكافية لمواجهة الرياح العاتية ولا الأمواج المتلاطمة في لُجة هذا اليمّ الذي استحال في فصل الخريف مخلوقا مخيفا يبعث بالرعب في نفس الشاعر.

وفي سبيل بيان المفارقة بين حالته في الصيف بقرب محبوبته وحالته في الخريف ذلك الفصل المخيف – كما نعته الشاعر – ينوّع الشاعر قافيته كل أربعة أبيات، فهو في سبيل المزاوجة بين عاطفتين قد لجأ إلى هذه المباينة في القافية، على الرغم من أن شعر العسكر في معظمه قد حافظ على القافية الموحدة، وهي من دلالات نزوع العسكر إلى القديم في الشكل.

(١) ينظر: ص ٢٧، ٢٨ من هذا البحث.

كذلك حديثه الدائم إلى ندمائه كان ملمحًا من ملامح القديم، فلا زال الشاعر قديما يخاطب الصاحبين، وشاعرنا هنا قد استعمل هذه التقنية الشعرية؛ ليسوق إلينا تداعيات روحه المضطربة التائهة بين ماضٍ مفعم بالحيوية في فصل الصيف الذي ولّى، وبين حاضر مخيف خيم السكون والحزن على أرجائه في الخريف.

الطائر في شعر العسكر:

الطائر عند العسكر هو الملهم الأول للشعر والباعث الأقوى عليه، فصوته الشجي يفجر في الشاعر العواطف الكامنة والأحاسيس الدفينة، ونكتفي هنا بإيراد نموذج واحد من نماذج مناجاته له:

يـا طائـرَ الفجـرِ مـن بالـراح أغرانا ... إلاك حيـن تناغـي الـروض سـكرانا

قـم واصطبـح فكؤوس الـورد مترعة ... مـن خمرة الفجـر إن الفجر قـد بانا

وارقص وصفق وطر واهتف وغنّ به ... وحيـه واسـكب الأشـواق ألحانـا

كـم نغمـة صغت مـن إلهـام روعته ... ووحـي طلعتـه فاصـدح بهـا الآنـا

وسـائل الـروض عـن أحـلام غفوته ... واسـتخبر الآس والنـوار والبانـا

وابعـث بأنفسـنا ميـت العـزاء فقـد ... أودى بها اليأسُ واسمع بعد شكوانا[1]

فالشاعر يناجي ملهمه طالبًا منه أن يملأ الروض بألحانه، ويشرب من كأس الورد رحيقًا يملؤه نشوى، ويشدو ويرقص وسط الرياض الناضرة، فيملأ نفس الشاعر بالحبور، وهو يرقب هذا المنظر البديع الأخّاذ الباعث على نبذ الحزن وتبديد الأتراح والدخول في هذا العالم المثالي الذي يبحث عنه الشعراء صافيا بعيدا عن مكدرات الحياة ومنغصاتها.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٨١.

ولعل شاعرنا في هذه المقطوعة قد تأثر شيئا ما بصور البلبل عند أحد رواد الرومانتيكية وهو ميخائيل نعيمة في قوله:

إنْ سَمعْـتِ البُلْبـُلَ الصَّـدَاحَ بَيْـنَ اليَاسَـمين
يَسْـكُبُ الأَلْحَـانَ نَـارًا فِـي قُلُـوبِ العَاشِـقين
تَلْتَظِـي حُـزْنًا وشَـوْقًا والهَـوَى عَنْـكِ بَعيـد
فَاخْبِرينِـي هَـلْ غِنَـا البُلْبُـلِ فِـي اللَّيْـلِ يُعيـد
ذِكْـــــرَ مَاضيـــــــــك إلَيْـــــــك
هَـــــلْ مِـــــــنَ الأَلْحَـــــانِ أنْـــــت؟[1]

فكلاهما رأى في طيور الروض وفي ألحانها الشجية مهيجا للأشواق ومثيرًا لعاطفة الحب في وجدان الشاعر الحالم بعالم يملؤه الحب دفئا وطمأنينة ينشدها كل إنسان.

فصورة سكب الألحان في نفوس العاشقين مستوحاة من شعر ميخائيل نعيمة، وإن كان شاعرنا قد أراد من الطائر أن يسليه عما بداخله من أسى، أما نعيمة فقد رآى البلبل فيضًا من فيوض الإله العظيم الذي صور البلبل في تلك الصورة الفاتنة.

والواقع أن صورة الحمام الذي يتجاوب مع المحب العاشق، إذ هجرته حبيبته فألمّ به الأسى والحزن، صورة لها جذورها في شعرنا العربي القديم، فهذا ابن الدمينة من شعراء القرن الثاني الهجري (ت حوالي ١٣٠هـ/ ٧٤٧م) يعيش تجربة حبه، ويستثيره هديل الحمام، وترجيع أصواته الحانية فوق الأغصان، فيوقظ في نفسه تباريح الهوى،

(١) ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢ – ص٢١.

ومناجاة الحبيب الذي هجره، كأن هديل الحمام في وعيه، بكاء ونشيج لآلام نفسه التي انطوت عليها جوانحه، يقول:

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا

أفارقت إلفًا أم جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت

هتوف الضحى بين الغصون طروب[1]

ويبدو أن هذه الصورة كانت أثيرة أيضًا لدى الشعراء الوجدانيين المعاصرين، وخاصة رفاق الشاعر في جماعة أبولو، على اختلاف بينهم بالطبع، مع ملاحظة ما أضافوه إليها من زيادات إذ جعلوا الرياض تتألق نضارة وحيوية باللقاء السعيد، ثم تزول نضارتها وتجف أوراقها إبّان الفراق بين الحبيبين. ويحضرنا في هذا السياق أبيات محمود حسن إسماعيل، وهي من قصيدته «دنيا أدمع ومآتم»، وفيها تقول:

ولما تلاقينا وكاد صفاؤنا ... يرفه من وجد القلوب الهوائم

تصاوحت العيدان في جنة الهوى ... وجافى رفيق اللحن عش الحمائم

وبدلت الأنسان بين أراكها ... فحيح أعاصير ولفح سمائم[2]

وإن كان لذلك من دلالة، فإنما يدل على تواصل تجربة الحب لدى الشعراء المحدثين مع أسلافهم من الشعراء القدامى، وسريان الماضي في أوصال الحاضر.

---

(١) ينظر: د/ شفيع السيد – قراءة الشعر وبناء الدلالة – دار غريب – القاهرة – ٢٠١١م – ص٥٦ – ٥٧.

(٢) محمود حسن إسماعيل – الأعمال الكاملة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٤م – المجلد الأول – ص١٧٥.

(٢) الافتتان بالمرأة وعاطفة الحب

لعب الحب دورا كبيرا في الآداب المختلفة على مر العصور فكان حديث الشعراء، ولكنه لم يبلغ في عصر من العصور ما بلغ عند الرومانتيكيين، فكان الحب في بعض الإنتاج الأدبي فضيلة أو طريقا إلى الفضيلة بعد أن كان في الأدب الكلاسيكي هوى من الأهواء ومجلبة للشرور[١]، لا يوصف إلا ليحذر منه وكان هذا التحول في أدب القرن الثامن عشر ثمرة الفلسفة العاطفية ثم الرجوع إلى الفلسفة الأفلاطونية في الحب.

والحُبُّ من العواطف الإنسانية النبيلة، إذا سما به الإنسان عن الابتذال والإسفاف، وغدا لونًا من الارتباط القلبي المبرأ من نوازع المادة ودنسها، وقد بلغ مستوى عاليًا من الصفاء والطهارة لدى شعراء الغزل العذري في الشعر العربي القديم، وكان الولاء للحبيبة والوفاء لعهدها باعثًا للمحب على تحمل ألوان من المشقة والعذاب، وقبول التضحية بما لا يهون على النفس التضحية به، بل إنه يستعذب هذه التضحية ويتقبلها عن طيب خاطر.

تبدو عاطفة الحبّ عند الوجدانيين عموما وكأنها تجربة روحية ترتبط بمعاني الطهارة والعفة والصمود أمام الشهوات، ويسمو الشاعر فيها بخياله إلى عالم نورانيّ من الأحلام والأوهام، متخذا من حبه إلهاما لموهبته وحافزا لوجدانه ليرقى إلى ما يستطيع من رحاب الروح والفن.

---

(١) ينظر: د/ محمد عنيمي هلال – الرومانتيكية – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ – بدون تاريخ – ص١٦٤.

ووجود المرأة في شعر العسكر وجود غائم مطلق لا يحده – في الأغلب – اسم أو زمان أو مكان، يتحدث العسكر عنه في كثير من الأحيان حديثه إلى غائب مجهول، أو يخاطبه أحيانا كما يخاطب مثالًا ساميًا خالصا من أدران الحياة وأطماعها، والشاعر في تطلعه إلى هذا المثال يأمل الخلاص مما يجد من معاناة الحياة ومخالطة الناس، وشاعرنا فهد كما هو معلوم قد آثر العزلة وقتا طويلا حتى فارق الحياة وهو في زهرة شبابه، وقد كان يأمل من وراء هذا الحب أن يتحرر من الصراع المحتدم في وجدانه بين الرغبة والطهارة، أو الواقع والمثال، يقول العسكر:

أيهـــذا الهائـــــج الصاخـــب ... أوقـــــــدت الضرامـــــــا
ومـــــن الآثـــــار والأطيـــاف ... مـــا يذكـــي الغرامـــــا
أنـــا عطشـــان وكـــم مـــن ... نبـــأٍ بـــــلّ أوامـــــــا
فعـــــن الســـــمراء خبّرنـــي ... وأقرئهـــــا الســـلامـــــا
هـــا هنـــــا عاهـــدت هنـدا ... بعدمـــــا حـــرّرت نفســـي
هـــا هنـــــا بالحـبّ والنشـوة ... قـــــد غيّبـــــت نحســـي
وهنـــا فـــي غيهـب الأتـراح قـد ... واريـــــــت أُنســـــــي
وهنـــــا أبكيـــــت هنـــدا ... فاحفـــروا إن مـــــتّ رمسـي
هـــذه الصخـــرة كـم فـــي ... ظلّهـــــا وقـــــت الظهيـره
جلســـــت منشـــــدةً شـــاديـ ... ـــــةً هنـــــد الصغيـــــرة
وعلـــــى تلـك وهـــــذي ... فـــــي ليالينـــــا الأخيـرة
كـــم نشـــرنا مـــن بسـاط ... وشـــــربنا بالكبيـــــرة
وعلـــــى هاتيـــــك والشـمس ... بأحضـــــان المغيـــــب

بحت قبل القبلة الأولى ... بحبي للحبيب
وعروس الشعر كم ... طافت بذيّاك الكئيب
وعليه هند كم ... غنّت لحون العندليب
إنّ لي عندك لحنًا ... هاته يا موج هاته
من لحون هتف الصيـ ... ـف بها في أمسياته
فهي للقلب وكم رتّلها ... في صلواته
أنا في معبده قد ... صغتها من عبراته
كن ضنينا أيها اللـ ... ـيل بسرّ قد أذاعه
تائه يبحث في جنحك ... عن كنزٍ أضاعه
هو كالملّاح حين ... التهم اليمّ متاعه
وانبرى للريح والموج ... فلم تُغن الشجاعة[1]

يلجأ الشاعر إلى البحر (الخليج العربي) سميره في لياليه بكل ما فيه من اضطراب وثوران فينشده أن يعيد على أذنه ذكر هند تلك الفتاة السمراء التي ملأت على الشاعر حياته، والبحر خير من يجيبه في ذلك؛ فهو الذي عاين لهو شاعرنا ولقائه، فشاطئ البحر هو ذا المكان الذي بدد الشاعر فيه أحزانه وانقشعت عنه فيه أتراحه لذا نراه يقول: احفروا قبري هنا في هذا المكان؛ لعل هذه الحياة الهادئة على شاطئ البحر تتصل بعد وفاته.

ويزيد فهد العسكر الموقف توترًا بما يضيفه من امتداد آخر لرؤيته الشعرية، تتمثل في استجابات النبات، والطير، بل الندى لأشجانه وآلامه.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢٠٢ – ٢٠٤.

والحب عند فهد كاليد الرحيمة التي يرجو الشاعر أن تمتد إليه لتنقذه من وعثاء الحياة وآثامها، لكنّ انتظاره إلى لمسة تلك اليد الرحيمة كثيرا ما يطول؛ لأن تجربة الخلاص تعني الانسلاخ الأليم من إلف الواقع إلى جدة المثال ومن نوازع الجسد إلى أشواق الروح[1]، يقول العسكر:

لا الأنـس أنـس ولا الأفـراح أفراح ... كلا ولا الـراح راح بعدمـا انزاحوا

مضوا وما بحت عن سرّ الهوى لهم ... ومـا أبانوا لي الشـكوى ومـا باحوا

يا صاح لا كفكفت كفّاي بعدهم ... دمعـي علـى أن دمع العيـن فضّاح

منحتهـم كل ما شـاء الغـرام ولا ... غرابـة فصريـع الـكأس منّـاح

يا قوم نفسـي سـالت لوعة وأسـى ... هـلا عذرتم أهـل العشـق إذ ناحوا

بـاللهَ معـذرة فالدهـر جرّعنـي ... صاب القنوط ومن يسـقاه نوّاح[2]

ويمزج العسكر بين الحب وأحوال النفس، فتبدو صورته هادئة شجية حينا، أو حادة صاخبة حينا آخر، حسب طبيعة التجربة ومزاج الشاعر، وبين يدينا تجربة يميل فيها العسكر إلى الهدوء والتأمل وربط الحب بأحوال النفس والطبيعة، وبخاصة في شجنها الرقيق ولحظاتها ذات الهدوء العميق، يقول العسكر:

اذكُريني كلمـا هـبّ الندامـى ... لِتَحسّـيها غَبوقًـا وصبـوح

وإذا مـا هـزّتِ الذكـرى الحماما ... فغـدا فـي الـدوح يشـدو وينـوح

اذكريني كلّمـا زفَّ الشـمول ... ذاتُ دلٍّ ودَلالٍ أو غُـــلام

وإذا مـا اسـتَرجَع الشـربُ العقول ... فغَفـوا تكلأهـم عيـن السـلام

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٢٨٩.

(٢) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ٢٥٧.

اذكريني كلما آذارُ وافى ... وارتمى سكرانَ ما بين يديك
وإذا نيسانُ عاطاكِ السلافا ... وحنا شوقًا وتحنانًا إليك
اذكريني كلما هام الفراش ... لارتشاف الراح من ثغرِ الزهور
وإذا ما هاجَكِ الشوقُ وجاش ... صارخًا في نفسكِ الولهى الشعور
اذكريني كلّما ناغى الهزار ... ثمِلًا أفراخهُ عند الشروق
وإذا ما هزمَ الليلُ النهار ... واستثارَ الوُرقَ تنحابُ المشوق
اذكريني كلما الشمالُ هبّت ... وسرَت يا زينةَ الدنيا جنوب
وإذا ما صحَتِ الطيرُ وعبّت ... خمرَةَ الفجرِ على نفحِ الطيوب
اذكريني كلما النايُ ترنَّم ... وهفا قلبٌ على قرعِ الكؤوس
وإذا ما شاعرُ الحيِّ تألَّم ... فبكى في الشجنِ واستبكى النفوس
اذكريني كلّما الصيفُ أتى ... يحملُ البشرى لأرباب الغرام
فالتقَت كل فتاةٍ وفتى ... فإذا الدنيا سلامٌ وابتسام
اذكريني كلما نام السكارى ... بين أحضانِ الرمال الناعمة
وإذا ما سامرَ الموجُ السهارى ... حولَ هاتيكَ الصخورِ الجائمَه
اذكريني كلّما لاح أخوك ... في السماءِ اللازوردية ليلا
وإذا ناجيتهِ لافُضَّ فوك ... في سكون الليلِ يا ليلى لكَيلا
اذكريني كلما جاء الخريف ... ناثرًا ما نظَمَت كفُّ الربيع
ما حيّا كل أنيقٍ ولطيف ... ماسخًا كل جميلٍ وبديع
اذكريني كلّما حلَّقتِ فجرا ... وانتشَت روحك في دنيا الخيالِ
اذكريني يا فتاتى ربّ ذكرى ... قرَّبَت من نزَحا رغمَ الليالي[1]

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١٥٩.

وأزعم – وأنا أجيل نظري في تلك القصيدة – أننا نطالع واحدة من تلك التجارب الشعرية التي عرفها الغزل العذري في الشعر العربيّ، فهو عمل شعري سلم مما يغلب على قصائد أخرى له تغنى فيها بالملامح الحسية للحبيبة، ووصف مفاتنها ومواطن جمالها وصفًا مثيرًا.

وحين نتأمل القصيدة ونعيد النظر فيها، نراها تدور حول دلالتين أساسيتين في تجارب الحب بعامة هما: الفراق واللقاء، بكل ما يفجران من أحاسيس ومشاعر، واتخذ الأداء الشعري في الحالتين شكل الصورة الرامزة؛ فشاعرنا قد جعل من كل ما حوله من مشاهد الطبيعة الباعثة على السرور والنشوى داعيًا لأن تتذكره حبيبته فسألها أن تذكره عندما يشدو الحمام، وحينما يهب النسيم الرقيق، ويرتشف الفراش من رحيق الأزهار، وعند ملاعبة الهزار لأفراخه، وعند طلوع الفجر المؤذن برحيل الظلام، وعند حلول الصيف الباعث على اللهو حول الخليج بأمواجه وضخوره وما يتبعه من مشاهد البهجة، وقد جمع شاعرنا في هذه القصيدة كل دوافع الشعر الغنائي عند الرومانتيكيين بما حوته من حديث عن المحبوبة وتسخير لكل عناصر الطبيعة الساحرة لتشاركه هذا اللقاء المفعم بالدفء والحيوية في آن واحد.

فشاعرنا بوجدانه المشبوب الذي تذوب فيه عاطفة الحب فتتماهى مع عناصر الطبيعة والمجتمع والنفس والموت تلخص موقف الشاعر الرومانسي من الحياة.

ونرى شاعرنا في هذه الأبيات يستعمل بعض الألفاظ الأجنبية كأقرانه في جماعة أبولو فيصف السماء بـاللازوردية وهي كلمة أعجمية تشير إلى أحد المعادن ذي لون أزرق، وقد كان بإمكان الشاعر أن ينعت السماء الزرقاء اللامعة بأي وصف عربيّ،

ولكنه النزوع إلى التجديد في الوصف بما لم يأت به القدماء، والرغبة في تطوير ألفاظ الشعر ومعانيه بما يناسب المدرسة الرومانسية ذات الأصول الأوروبية.

ونرى الفعل الأمر (اذكريني) وقد تكرر في القصيدة؛ ليؤكد على هذا المعنى الذي يلحُّ الشاعر في ترسيخه، في محاولة منه لاستعطاف المحبوبة بأن يظل الشاعر في ذاكرتها ولا يرحل عن وجدانها، وهي دعوى بها شيء من الجدة والطرافة، فلم يكتف باستحضار صورة المحبوبة في عقله ووجدانه، بل طلب منها أن يظل حاضرًا في وجدانها هي أيضًا.

وشاعرنا العسكر يخلع على الحب أجواء مقدسة تقترب من طقوس الدين والعبادة، مطلقًا وجدانه على سجيته، كاشفًا أعماق نفسه بألفاظ وعبارات رومانسية محشودة متتابعة، ومن ذلك قوله في قصيدته «جلالة الملك المعظم»:

حيّ الصباح إذا تبسم ... وصغ العقود إذا تكلم
واعبد بمملكة الجمال ... جلالة الملك المعظم
فالحسن حين يصان يعبد ... فيه خالقهُ ويكرَم
وإذا سألت وجاد يوما ... ما بوعد أو تكرّم
فاستقبل الدنيا بزينتها ... ولا تشرك فتندم
واستوحه واستلهمنه ... فكم وكم أوحى وألهم
رمزُ الفضيلةِ والعفاف فأ ... ينَ يوسف أين مريَم
أنا لا أقول هو الهلال ... كما يقالُ إذا تلثّم
أو حين يسفرُ قد تبدّت ... أختُ يوشع فهو أعظم
ركعت له فينوس حين ... هوت وخرّت إذ تسنّم

مـولايَ طـوّح بـي التـدلّه ... بـعـــدَ أن أدمـــى وقـلّم
وهـوى بشيطانـي القنـوط ... وأفـق إلهـامـي تـجـهّـم
وكـبـا جـواد الحـظ بـي ... وحسـام بأسـي قـد تثـلّم
اللهَ فـيّ فـإنّ كـاسـي ... ملؤهـا بـهـواك علقَـم
اللهَ فـي قلبـي الكليـمِ ... فـجـرحـه الدامـي تسمّـم
وكـتـمـتُ حبّـك مـرغمـا ... والحـبّ يقتـل حيـن يكتـم
كيـف السـبيلُ إلـى الشكاة ... وكـل مـن فـي الحـيّ لوّم
يـطـوي الليـالي ذاهـلًا ... مـتـحسّـرًا والنـاس نـوّم
مـتـبـــرّم بـنـهـــارهِ ... قـلق إذا مـا الليـلُ خـيّم
قـد جـنّ بـيـن فـؤادهِ ... الملتـاع والأمـل المحطّم
فـتـعـال بـادله الـوداع ... وعـش قرير العـين واسلم [1]

إن الحب هو الينبوع الذي تدفقت منه قصائد شاعرنا، وهو حب أضرم الحرمان ناره، فلا نكاد نحس فيه لحظة بأن الشاعر قد أطفأ لهيبه أو روى ظمأه، وفي ظل هذا الحرمان وبسببه راح خيال الشاعر يحلق في آفاق عليا من التصوير، ويسمو في معظمها إلى مقام العبادة، فهو عابد يقف في محراب الحب يرتل آياته، ويترنم بأنغامه، وحبيبته هي المعبود الطاهر الذي يتجه إليه بقلبه ويتغنى بذكره وتقديسه.

وكما يقترن الحب في رؤية فهد العسكر الشعرية بالعبادة، يقترن كذلك بالتصوف، بل يمتزج الأمران معًا في كثير من الأحيان، فيأتي التعبير عن أحدهما في ثنايا التعبير عن الآخر. والتصوف في جوهره – عند بعض الشعراء – ليس إلا مرتبة عليا من مراتب

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٦٧ – ١٦٨.

العبادة تبلغ فيها درجة عالية من الصفاء والشفافية، ويستغرق فيها القلب في غرام من يحب فلا يكاد يرى في نفسه غيره، ولا ينشغل بأحد سواه، والمحب عند هذا المستوى إنما هو عاشق ولهان، ومحبوبته في مرآته الباطنة قبس من النور، يقول العسكر:

أهـــلًا وســـــهلًا بالغـــرا ... م البكـــــر والأمـــلِ الوسـيم
أنقـــذتَ روحـــي مـــن بـرا ... ثـــنِ ذلـك الحـــبّ الأثيـم
ورفعتهـــا مـــــن بعدمـــا ... كانـت تمـرّغُ فـي الأديـم
وأرحتهـــا مـــــن عربـــدا ... تِ الشـــكّ والألـم الأليـم
وهدَيتنـــي بعـــد الضـلا ... لِ إلـــى الصـراطِ المسـتقيم
والحـــب إحســـاس يجـــي ... شُ بخافـــق الحـرِّ الكريـم
والحـــبّ إلهـــام الجمـــا ... لِ المحـضِ للـذوقِ السـليم
هـو روعـة الخلـق الجمـي ... ل ازدانَ بالخلـــقِ القويـم
هـــو الصغيـــر شـباك صـي ... دٍ وهـو ديـنٌ للعظيـم
هـذا وهـــل كان الهـــوى ... إلّا لـــذي قلـــب رحيـم[1]

وفي الجهة المقابلة لهذا الخشوع والتقديس المسرف المبالغ فيه أحيانًا يعبر العسكر عن خيبة أمله في حبيبته وملهمته التي صاغها في وجدانه ووشّاها بالخيال والأحلام والأوهام فيصور المرأة مخلوقا طائشا قليل الوفاء كثير التقلب والخيانة، وكأنها في كلتا الحالتين معادل للحياة عند الشاعر، فيما تمنحه من ساعات الصفاء والإقبال، وفيما يجد فيها من شقاء وإدبار وتحول مفاجئ في المصير، فتصبح القصيدة وكأنها أنات جريح، يقول العسكر:

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١٧٥.

ذري القلب يطوي حبّه ويواريه ... ذريه فقد أقصى هواك أمانيه
ومن كفّك الصهباء صاب فاترعي ... عدمتك كأسي واغربي لا تديريه
فلست على الحب القتيل بآسف ... فحبّ كهذا لا تطاق مساويه
ولست على أمسي وغرسي بنادم ... وتبّا لقلبٍ كاذب الحبّ يغريه
دعيني وهاتي يا هلوك رسائلي ... فإنّ ربيب الإثم خابت مساعيه
وهاك الذي بالأمس كنت أضمه ... إلى مهجتي الحرى وكنت أفدّيه
خذيه ففي طيّاته لك صورة ... ودمع وبعض الدمع خرسٌ معانيه
ولي في يا أفعى دموع بعيد ما ... أثار ابن جنبي فارعوى ما سأخفيه
ويا شبح الموت اذهبي وتصيّدي ... عسى ولعلّ السهم يودي براميه[1]

وشاعرنا كما سخّر كل عناصر الطبيعة الجميلة الفاتنة حين استعرض هذا الدفء العاطفي مع محبوبته، لجأ للعناصر المخيفة حين أراد أن ينعتها بالخيانة فصورها بأفعى تنفث سُمّها في ظلامٍ حالكٍ، وهكذا لم يحِد شاعرنا عن الاندماج بالطبيعة في حالاته المتباينة.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص٢١٠.

(٣) الدعوة إلى المثل العليا

مـدخـل:

من بين الخصائص التي تميّز بها شعراء هذا الاتجاه الرومانتيكي الدعوة إلى المثل العليا؛ فالشاعر الوجداني أو الرومانتيكي يعتقد أنه صاحب رسالة تقوم على مُثل عليا من الأخلاق والسلوك لا سبيل إلى سعادة المجتمع بدونها، وهو مدفوع إلى بلاغ هذه الرسالة بما يحس في وجدانه من وجود روحي يحن إلى عالمه الروحي القديم، ويسمو به على شهوات الحياة الدنيا وأطماعها، ويفتح عينيه على ما في حياة الناس حوله من انعدام المحبة والتعاطف، والسعي وراء المال والجاه، وعلى ما في مجتمعه من مآسي الفقر والظلم ومظاهر الدمامة(١).

وقد عبر معظم شعراء الاتجاه الرومانتيكي عن إحساسهم بذلك الوجود الروحي، وعن اتصال الشاعر الوجداني بالسماء التي هي مصدر المثل العليا

يقول علي محمود طه في ديوانه الأول الملاح التائه:

هبـــط الأرض كالشـعاع السَّني ... بعصـــا ســـاحرٍ وقلـــبٍ نبـيّ

لَمحـــة مـن أشـعة الـرُّوح حلت ... فـي تجاليـــد هيـــكل بشـري

ألهمـت أصغريه من عالم الحكمة ... والنـــور كل معنـــى سـريّ(٢)

ويقول ميخائيل نعيمة مخاطبًا روحَه:

إنْ رَأَيْـتِ الفَجْـرَ يَمْشِـي خِلْسَـةً بَيْـنَ النُّجُـومْ

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٢٨٢.

(٢) علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – موسسة هنداوي للتعليم والثقافة – ط١ – ٢٠١٢م – ص١٧.

ويُوشِّـــي جُبـّـةَ اللَّيْـلِ المُوَلّـِي بالرُّسُـومْ
يَسْـمَعُ الفَجْـرُ ابْتهَـالًا صَاعـدًا مِنْـك إلَيْـهْ
وتَخِـــرِّي كَنَبِـــيٍّ هَبَـــطَ الْوَحْـيُ عَلَيْـهْ
بخُضُـــوعٍ جَاثِـــــيَه[1]

فالشاعر يصور نفسه – لحظة انعتاقه من أسر الحياة المادية وخلوه بنفسه وتضرعه إلى خالقه، وقد صفت نفسه من كل أكدارها – بنبيّ يتنزل الوحيُ عليه في ساعات السَّحر الذي امتد حتى اختلج بأول الفجر، وشاعرنا يرصد صفاء روحه في تلك الأوقات.

ويقول إيليا أبو ماضي مشيرًا إلى كنه الشاعر وحقيقته:

إنـه روحُ كريـمٍ لبـسَ الطيـنَ المهينـا
ونبـيٌّ بَهـرَ الخلـق، ومـا أعلـن دينـا
يلمـح النجـم خفيًـا ويـرى العطـر دفينًـا
ويحـس الفـرح الأسـمى جريحًـا أو طعينًـا[2]

فروحه روح نبي دائم الاتصال بالسماء، لم يعكر صفوها ذلك الجسد المخلوق من طين الأرض، يرمق بعيني روحه الحياة فيدرك ويحس ما لا يحس غيره، ويستشعر الفرح في أحلك لحظات الحزن وأقساها.

وقوله مرة أخرى متحدثا باسم الشعراء:

كـم خفضنـا الجنـاح للجاهلينـا

(١) ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢م – ص٢٠.
(٢) إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.aldiwan.net/poem62789.html

وعذرناهـــم فمـــا عذرونـا
خبروهـــم يـــا أيهـــا العاقلونا
إنمـــا نحـــن معشـر الشـعراء
يتجلـى ســـــر النبـــوة فينـا[١]

وقول الشابي مشيرا إلى الشاعر في قصيدته «النبيُّ المجهول»:

جهـــل النـاس روحـه وأغانيهـا فسـاموا شـعوره سـوم بـخسِ
فهـو فـي مذهـب الحيـاة نبـي وهـو فـي شـعبه مصـاب بمسِّ
هكـذا قـال ثـم سـار إلـى الغاب ليحيـا حياةَ شعرٍ وقدسِ[٢]

وقوله مشيرًا إلى عالم الروح الأول:

يـا إلـه الوجـود هـذي جـراح فـي فـؤادي تشـكو إليـك الدواهي
أنـت أنزلتنـي إلى ظلمـة الأرض وقـد كنـت فـي صبـاح زاه
كالشعاع الجميل أسبح في الأفق وأصغـي إلـى خريـر المـاء
وأغنـي بيـن الينابيـع للفجـر وأشـدو كالبلبـل المتباه
أنـت أوصلتنـي إلـى سـبل الدنيا وهـذي كثيـرة الاشـتباه[٣]

ومنه قول فوزي المعلوف مشيرا إلى دور الشعراء:

أنـتَ يـا روحَهـم مـن النّـورِ ذراتٌ أضـاءت فـي الكـونِ عالمَيْـهِ

(١) إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.klmat.com
(٢) أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – قدم له وشرحه أ/ أحمد حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٤م – ص٩٥.
(٣) أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – ص١٧٨-١٧٩.

تصل الأرض والسماء بنهر غمر الحسن والهوى ضفّتيهِ
لستِ من عالم التراب وإن كنت تقمصت بالتراب عليهِ
أنت من عالم بعيد عن الأرض يفيض الجلال عن جانبيهِ[1]

والشاعر الوجداني شاعر ذو وجهة أخلاقية تدين انحراف النفس البشرية، ويقارن بينها وبين نقاء عناصر الطبيعة وبذلها بلا انتظار جزاء، يقول إيليا أبو ماضي وقد سألته سائلة عن مذهبه:

أَنَا آدَمِيٌّ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ
هُوَ الْكَائِنُ الْأَسْمَى وَشِرْعَتُهُ الْفُضْلَى
وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا الَّتِي هُوَ بَعْضُهَا
وَأَنَّ لَهُ الْأُخْرَى إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى
أَمُنُّ عَلَى الصَّادِي إِذَا مَا سَقَيْتُهُ
وَأُلْزِمُهُ شُكْرِي، وَلَسْتُ أَنَا الْوَبْلَا
وَأُزْهِي إِذَا أَطْعَمْتُ جَوْعَانَ لُقْمَةً
كَأَنِّي خَلَقْتُ الْحَبَّ فِي الْحَقْلِ وَالْحَقْلَا
تَتَلْمَذْتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الدَّهْرِ حِقْبَةً
فَلَقَّنَنِي غَيًّا، وَعَلَّمَنِي جَهْلَا
نَهَانِيَ عَنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَعِنْدَمَا
رَأَى غِرَّةً مِنِّي تَعَلَّمَ بِي الْقَتْلَا!

(1) https://albaleegh.com/poet

وَذَمَّ إِلَــيَّ الــرِّقَّ ثُــمَّ اسْـتَـرَقَّـنِــي
وَصَــوَّرَ ظُـلْـمًـا فِـيــهِ تَمْجِيـدَهُ عَـدْلَا
وَكَــادَ يُـرِيـنِــي الْإِثْــمَ فِي كُـلِّ مَا أَرَى
وَكُــلَّ نِـظَــامٍ غَـيْــرَ مَــا سَــنَّ مُـخْـتَـلَّا
فَـصَــارَ الْــوَرَى عِـنْـدِي عَـدُوًّا وَصَاحِبًـا
وَأَنْفُسُهُــمْ صِنْفَيْــنِ: عَلْيَــاءَ أَوْ سُــفْلَى
وَصِــرْتُ أَرَى بُغْضًـا وَصِــرْتُ أَرَى هَــوًى،
وَصِــرْتُ أَرَى عَـبْـدًا وَصِــرْتُ أَرَى مَوْلَــى
وَيَــا رُبَّ شَــرٍّ خِـلْـتُــهُ الْـخَـيْــرَ كُـلَّــهُ
وَيَــا رُبَّ خَـيْــرٍ خِـلْـتُــهُ نَـكْـبَــةً جُلَّــى
إِلَــى أَنْ رَأَيْــتُ النَّـجْـمَ يَـطْـلُعُ فِـي الدُّجَى
لِــذِي مُـقْـلَــةٍ حَسْــرَى وَذِي مُـقْـلَــةٍ جَذْلَى
وَشَـاهَــدْتُ كَـيْــفَ الــنَّـهْــرُ يَـبْــذُلُ مَــاءَهُ
فَــلَا يَـبْـتَغِــي شُـكْــرًا وَلَا يَـدَّعِــي فَضْــلَا
وَكَـيْــفَ يَـزِيــنُ الطَّــلُّ وَرْدًا وَعَوْسَجًــا
وَكَـيْــفَ يُــرَوِّي الْـعَارِضُ الْـوَعْــرَ وَالسَّهْلَا
وَكَـيْــفَ تُـغَــذِّي الْأَرْضُ أَلْأَمَ نَـبْـتِـهَــا
وَأَقْـبَـحَــهُ شَـكْــلًا كَـأَحْـسَـنِــهِ شَـكْــلَا
فَـأَصْـبَــحَ رَأْيِــي فِــي الْـحَـيَــاةِ كَـرَأْيِـهَــا
وَأَصْـبَـحْــتُ لِــي دِينٌ سِوَى مَــذْهَبِي قَبْلَا[1]

(١) إيليا أبو ماضي – الأعمال الشعرية الكاملة – https://www.hindawi.org

لذلك عانى الشاعر الوجداني في تشبثه بمثله العليا وحنينه إلى عالمه الروحي أزمة مزدوجة، يتصل جانب منها بالمجتمع ويتصل جانب بوجوده الباطني وما يدور فيه من صراع بين الجسد والرح والشر والخير، أو بين الطين والنور كما يعبر الشعراء الوجدانيون، وهو في شغفه بالجمال البشري والطبيعي ونفوره من الدمامة في الأخلاق والسلوك والصلات الاجتماعية وبغضه للفقر والظلم وغلظة الطبع لا يصدر عن مفهوم سياسي أو فلسفة اجتماعية، بل يدرك ما في مجتمعه من متناقضات بوجدان مرهف يجد في كل هذه المظاهر رذائل خلقية واجتماعية يدينها بمعيار خلقي وإنساني في المحل الأول.

وإذا كان هذا هو موقف الشاعر الوجداني من المجتمع فإن له موقفا مشابها مع نفسه فهو في صراع دائم بين رغباته ومثله وبين طموحه المشروع وما يشهد من وسائل غير مشروعة ينتهجها الناس لتحقيق أطماحهم، وهو يعيش مشدودًا بين عالمينِ من المثال والواقع، يميل إلى هذا تارة وإلى ذاك تارة أخرى مزهوًا بعصمته إذا استطاع الصمود معذبا بالإثم والندم إذا زلت به القدم، كما في قول علي محمود طه:

لقد دنَّسَ الجسَدُ الآدميّ ... حياةً حَرَصْتَ على طُهْرِهَا
بكى الفنُّ فيكَ على شاعرٍ ... تسائِلُهُ الروحُ عن ثَأْرِهَا
نزلتَ بها وَهْدَةً كم خبا ... شُعاعٌ وغُيِّبَ في قبرِهَا
رفعتَ تماثيلَكَ الرائعاتِ ... وحَطَّمْتَهُنَّ على صَخْرِهَا
فدَعْ زهرةَ الأرض يا ابنَ السماءِ، ... فأنتَ المبرَّأُ من شرِّهَا
مراحُك في السُّحُبِ العالِيَاتِ ... وفوق المنَوِّرِ من زُهْرِهَا
فَمُدَّ جَنَاحَيْكَ فوق الحياةِ، ... وأطْلِقْ نشيدَك في فَجْرِهَا[1]

(١) علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – ص١٦٠.

وكما في قول إلياس أبو شبكة:

رباهُ عَفوَكَ إنّي كافِرٌ جانِ
جَوَّعتُ نَفسي وَأَشبَعتُ الهَوى الفاني
تَبِعتُ في الناسِ أَهواءً مُحَرَّمَةً
وَقلتُ لِلنّاسِ قَولًا عَنهُ تَنهاني
وَلم أُفِق مِن جُنونِ القَلبِ في سُبُلي
إلا وَقَد مَحَتِ الأَهواءُ إيماني
رَبّاهُ عَفوَك إنّي كافِرٌ جانِ
لَكَم دَعَتني إِلى الفَحشاءِ أَميالُ
وَأَندَرَتني تَجاريبٌ وَأَهوالُ
إِن التَجاريبَ لِلأَلبابِ مَوعِظَةٌ
لكِنَّها لِأُلي الأَضلالِ أَضلالُ
تِلكَ اللَيالي المواضي لا يَزالُ لَها
بَينَ الخَرائِبِ في عَينَيَّ أَطلالُ
وَآحسرَتاه وَقَلبي لا يَزالُ لَهُ
في لَذَّةِ العارِ أَوطارٌ وَآمالُ[1]

ونستطيع أن نلمس تلك الدعوة إلى المثل العليا في أكثر من صورة، فبوسعنا أن نجدها في الثورة على التقاليد القديمة، والدعوة إلى الحرية، والانشغال بقضايا

(١) إلياس أبو شبكة – أفاعي الفردوس – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٤م – ص٤٣.

الوطن، والحنين إلى الماضي بكل ما يحويه من أمجاد للقدماء، وفيما يلي عرض لتلك الصُّور، من خلال شعر فهد العسكر.

أ - الدعوة إلى الحرية والثورة على تقاليد المجتمع:

الحرية والثورة على التقاليد صورة من صور الدعوة إلى المثل العليا، لا سيما التقاليد التي أورثها الجهل، وشعر العسكر عن الحرية قل أن يتخذ صورة إيجابية ترسم معالم الحرية التي ينشدونها، لكنه بدلا من ذلك يتحدث عن إحساسه بفقد الحرية ويعبرعن ضيقه بوطأة المجتمع وأسر التقاليد وتطلعه إلى الانطلاق من قيود تلك التقاليد الصارمة.

ولعل مأساة العسكر تنجم عن كونه شاعرًا قد برز نجمه وسطع في بداية حياته الشعرية، فأحس بالتفوق على أقرانه؛ لما قوبل به من الحفاوة و التكريم، فلما أذاع ما أذاع من أفكار تتصادم وقيم المجتمع، لم يتقبل ما وجه إليه من نقد، بل تمادى في ما كان سببًا في هجوم الناس عليه، مؤثرًا العزلة مكتفيًا بجمهوره الذي يشعر بقيمته كشاعر موهوب، و يتردد عليه في أمسياته الشعريه التي كان يعقدها في بيته - كما أُثر عنه -.

وهذه الدائرة التي صنعها العسكر حول نفسه مفضلًا العزلة عن الرضوخ إلى قيم المجتمع و عاداته هي الأنا المحاصرة[1] الأنا المنطوية على خطيئتها، و لكن الشعور بالتميز و التفرد على كل من حوله يمنعه من الانصياع لتوجيهات من هم دونه في المنزلة - فيما يرى -.

(١) د/ وليد منير - جدلية اللغة و الحدث في الدراما الشعرية - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٧ - ص ٦٢.

وقصيدته التي مطلعها (كُفّي المَلام) خير شاهد على ما انتاب الشاعر من آلام وأحزان جرّاء ما يرمونه به من مجون وكفر، إلا أن شاعرنا لا زال متمسكًا بآرائه ثائرًا على من حوله وما حوله من أمور تتنافى وروحه وما جبل عليه.

يقول العسكرُ مخاطبًا أمَّه في مطلع القصيدة:

كُفّي الملامَ وعَلّليني ... فالشَكُّ أودى باليقينِ
وتناهَبَت كبدي الشجونُ ... فمن مجيري من شجوني
وأمضّني الداء العياء ... فمن مُغيثي من معيني
أينَ التي خُلِقَت لتَهـ ... ـواني وباتَت تجتَويني
أُمّاهُ قد غَلَبَ الأسى ... كُفّي الملامَ وعلّليني
اللهَ يا أمّاهُ فيّ ... ترَفّقي لا تعذُليني
أرهَقتِ روحي بالعتابِ ... فأَمسِكيه أو ذَريني
أنا شاعرٌ أنا بائسٌ ... أنا مستهامٌ فاعذُريني
أنا مِن حنيني في جحيمٍ ... آهٍ من حرّ الحنينِ
أنا تائه في غيهَبٍ ... شبحُ الردى فيه قريني
ضاقَت بيَ الدنيا دَعيني ... أندبُ الماضي دَعيني
وأنا السجينُ بعقرِ داري ... فاسمَعي شكوى السجينِ[1]

وهكذا كان شعور العسكر بموهبته و تفوقه الفكري كان أحد العوامل الذي جعلته يفضل العزلة عن الاستجابة لمطالب المجتمع، نلمس هذا الزهو وذلك التفرد

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت - ط الخامسة - ١٩٩٧م - ص١٢٧.

عن أبناء مجتمعه في قوله (أنا شاعر) وفي تكراره لضمير المتكلم (أنا) ما يشير إلى إيمان الشاعر بتميزه، وهو ما يستجلب حتمًا الثورة على المجتمع.

وكما نرى العسكر مزهوًّا بعبقريته الشعرية يشعر بتميزه وبما تهيئه له الموهبة من تفرد، نراه يحس أنه مغبون مهضوم الحقوق لم يبلغ من المكانة ولم ينل من الاعتراف ما هو جدير به، فالحياة لا تنصف (على حد تعبيره) أمثاله من الموهوبين بل تغدق عطاءها على من يجيدون الزيف والاحتيال.

وطَني وما أقسى الحياةَ ... بهِ على الحُرّ الأمين
وَأَلَذُّ بينَ رُبوعهِ ... من عيشتي كاسُ المنونِ
قد كنتَ فردوسَ الدخيل ... وجنّةَ النّذلِ الخئونِ
لَهَفي على الأحرارِ فيك ... وهم بأعماقِ السجون
ودُموعُهُم مُهَج وأكبادٌ ... تَرَقرَقُ في العيونِ
ما راعَ مثلُ الليثِ يُؤسَر ... رُ وابنُ آوى في العرينِ
والبُلبُلُ الغريدُ يهوي ... والغُرابُ على الغُصونِ
وطَني وأدتُ بكَ الشباب ... وكلَّ ما ملَكَت يَميني
وقَبَرتُ فيكَ مواهبي ... واستَنزَفَت غُللي شُؤوني
ودَفَنتُ شتّى الذكرياتِ ... بِغورِ خافِقيَ الطعينِ
وكسَرتُ كأسيَ بَعدَما ... ذابَت بأحشائي لحومي
وسكَبتها شعرًا رثيتُ ... بهِ الروح الحَزينِ
وطَوَيتُها صُحُفًا ضَننَـ ... ـتُ بها وما أنا بالضنينِ
وَرجعتُ صفرَ الكفِّ مُنـ ... ـطَوِيًا على سرٍّ دَفينِ

فلأنتَ يا وَطني المدينُ وما هزارُكَ بالمدينِ
وَطَني وما ساءَت بِغَير بن يكَ يا وَطني ظُنوني
أنا لَم أجد فيهم خَدينًا آهِ مَن لي بالخدينِ
واضَيعةَ الأملِ الشريد وخَيبةَ القلبِ الحَنونِ
رقَصوا على نوحي وإعوا لي واطرَبَهُم أنيني
وتَحامَلوا ظُلمًا وعدوانًا عليّ وأرهقوني
فعرفتهُم ونَبَذتُهُم لكنّهم لم يعرفوني
وهناكَ منهُم معشرٌ أُفٍّ لهُم كم ضايَقوني
هذا رماني بالشذوذِ وذا رماني بالجنونِ
وهُناكَ مِنهُم من رماني بالخلاعةِ والمجونِ
وتطاولَ المتعصّبون وما كفَرتُ وكفّروني
وأنا الأبيُّ النفسِ ذو الوجدانِ والشرفِ المصونِ
اللهُ يشهدُ لي وما أنا بالذليلِ المستكينِ

ومن ملامح الثورة على التقاليد والتي تعد في ذات الوقت دعوة إلى المثل ما نراه في قصيدة العسكر «نوّحي «حيث ينتقد فيها العسكر أساليب الزواج التقليدية في المجتمع، فيخاطب حبيبته ليلى التي زوجوها رجلًا غنيًّا يكبرها سنًّا، ويصف كيف حالت الفروق بينه وبين حبيبته وما اشتملت عليه نفوس المحبين من التياعٍ وألمٍ إِثْرَ هذا الفراق، وكيف لعبت ثنائية الفقر والغنى دورا في الحيلولة بين كثير من المحبين.

يقول العسكر:

ليـلايَ يـا نجـوايَ يـا دُنيـايَ يـا أمَلـي الوحيـد
طَـوتِ الفُـرُوقُ بسـاطنا وتنكّـر العيـشُ الرّغيـدْ
والذكريـاتُ مطلّـةٌ مـن كُـوّةِ الماضـي البعيد
ترنـو لحاضِرنا الشـقيّ وتندبُ الماضي السـعيدْ
يـا بنـتَ مـن وأد الفضيلةَ بيـن أحضـانِ الرذيلة
وطغـى فـراح يبـلُّ مـن دم كلِّ منكـوبٍ غليلـهْ
لَهَفـي على تلـك المشـاعر والأحاسـيسِ النبيلة
وعلـى جمالِـكِ والشّـبابِ الغضِّ لهفي يـا خميلة
ياللشراسـةِ والرعونـةِ والحماقـةِ والجهالـةْ
ياللدنـاءةِ والسـفاهةِ والسـفالةِ والنذالـةْ
باعـوكِ بالثمـن الزّهيـد فأيـن يـا ليلـى العدالةْ
وسَـقَوكِ كأسًا ملؤها صاب الأسـى حتى الثُّمالةْ
زجّـوك وا أسـفاهُ فـي سـجنِ التقاليـدِ القديمـةْ
للهِ مـا كابـدتِ فيـه مـن الأسـاليبِ العقيمـةْ
لا در درُّك مـن أب فـظٍّ ووالـدة لئيمـةْ
يـا قاتـل اللهُ التعصّب كـم تمخّضَ عـن جريمة
حجبوكِ عـن عيني وعين القلبِ تخترقُ الحجابْ
فليوصِـدوا سُـحقًا لَهُـمْ بينـي وبينـكِ ألـفَ بابْ
حـربٌ وكـم يـا ربِّ أعلنهـا الثعالـبُ والذئـابْ

تُذكـي المطامـعُ نارُهـا ووقُودُهـا مُهَجُ الشـباب
قـد أرغموكِ علـى الـزواجِ بذلك الشـيخِ الوضيعْ
أغْرَاهـمُ بالمـالِ وهـوَ المـالُ معبـودُ الجميـع
فقضـوا علـى آمالنـا وجنـوا علـى الحـبِّ الرفيعْ
مـا راعَ مثـلُ الـوردِ يذْبُـلُ وهـو في فصـلِ الربيعْ
زُفّـت وهـلْ زُفّـتْ فتـاةُ الحـيّ للـزوجِ الحبيـبْ؟
هـل أخفَقَـت أم حقّقـتْ بزفافهـا الحلْـم الذّهيبْ
وارحمتـاهُ لهـا فقـد زُفّـتْ إلـى الِّسـجنِ الرهيبْ
وغَدَت بـهِ نهْبَ الجـوى والشّـجْوَ والهـمّ المُذيب
هـل كانَ في اسـتقبالها فيه سِـوى شَـبَح الرّدى
قَـد أُدْخِلـت ليـلًا عليـهِ فـكان ليـلًا سَـرْمَدا
شُـلّتْ يـداهُ فكـمْ بهـا عاثَـت ألا شُـلّت يـدا
وحسـا علـى صرخاتهـا دَمَهـا الزكـيّ وعربـدا
أَوَ كانَ أهلُـكِ يـا فتاتـي والأقـاربَ والصّحـابْ
إلا الأراقـم والعَقـاربَ والثعالـبَ والـكلابْ
قـد شـيّعوكِ فخَبّرينـي بعدَمـا طُـويَ الكِتـابْ
مـاذا لقيـتِ بذلـك القَبـر المخيـفِ مـن العَذاب
ليلـى ومـا الدُنيـا سِـوى نـارِ الكريمـةِ والكريـمْ
أوّاهُ مـن داءٍ قـد استشـرى وَجُـرْحٍ فـي الصّميـمْ

رَبّـاهُ رِفقًـا بالجديـدِ فكـمْ شـكا جَـوْرَ القديـمْ
وطَغَـتْ أبالِسـةُ الجحِيـمِ علـى ملائكـةِ النعيـم
يـا للمهـازلِ والجرائِـمِ والمآسـي والمسـاخر
غَـدَتِ العـذارى كالعقائـدِ والمبـادئ والضّمائِر
سِـلَعًا تُبـاعُ وتشـترى علنًـا بأسـواقِ الحَواضِـر
والرّابحـون بهـا لهُـمْ منّـا التّهانـي والبشـائِرْ[1]

هذه القصيدة تعد من عيون القصائد الرومانتيكية؛ حيث حقق فيها العسكر كل ما دعوا إليه من صدق التجربة، وذاتيتها، والثورة على موروثات المجتمع العقيمة البائدة – أو التي ينبغي لها أن تبيد – والتي تتنافى وروح العصر، استهلها العسكر بحديثه إلى ليلى تلكم الفتاة البائسة؛ لأنها – وإن كانت في عنفوان شبابها وبهجته – قد أرغمت على الزواج من شيخ كبير ولكنه ثريٌّ، والأب البائس – تحت وطأة الحاجة – قد رضخ لسلطان الغنى الذي يذل أنوف الفقراء ويقهرهم بسطوته، يتحدث العسكر إلى ليلى، وكيف كانت ملهمته وسلواه ومصدر سعادته الوحيد في هذه الحياة؟ وقد حالت بينهما التقاليد؛ فالزواج أصبح تجارةً وعطاءً يرسو على من يملك المال ويدفع أكثر، وراح يندب ذلك الجمال والشباب الذي بيع بالمال، وهو في الحقيقة أغلى وأثمن من كل الكنوز، وتوجه بحديثه إلى ذلك الأب وتساءل كيف سولت له نفسه أن يفرط في فلذة كبده من أجل عرض من المال؟ وكيف لهذه الأم قد انسلخت من أمومتها وباركت تلكم الزيجة المشئومة؟ وأخذ يتأسف على تلك الفتاة التي زجت

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – ط الخامسة – ١٩٩٧م – ص١٧١ – ص١٧٣.

في سجن التقاليد البائسة التي أعلت من شأن المال وخفضت من شأن العاطفة ولم تأبه للحبيبين ولم تنظر لهما بعين الشفقة.

وبرغم أن الحدث المرتقب هو الزواج - بكل ما يحمله الحدث من معاني البهجة في أصل معناه - ولكنه زواج مشئوم بين فتاة في مقتبل العمر وريعان الشباب، وبين شيخ طاعن في السن، قد أحنى الزمن ظهره وأوهى عظامه، لذا نجد العسكر قد شحن قصيدته بجملة من الألفاظ التي تنم عن الحزن والأسى وكأنه مشهد جنائزي فوصف بيت الزوجية بالسجن الرهيب تارة، وبالقبر المخيف تارة أخرى، ونرى صورًا معبرة عن هذه المأساة مفعمة بالألم والحسرة، مثل شبح الردى والهم المُذيب، وتتعالى الصرخات والآهات في لوحة مأساوية سُطرت بمداد من دم قانٍ على جدران مقبرة مظلمة.

إنه المال بسلطانه الذي استطاع - على حد وصف الشاعر - أن يشتري المبادئ والعواطف والعقائد وكل المعاني الجميلة التي تستقر في الوجدان فلا يمكن نزعها البتة، وهو في خطابه عن الأغنياء يتجه بحديثه إلى ضمير المجتمع وإلى حسه الإنساني، وإذا سخر منهم فإنه يسخر من الطبيعة الشائهة التي تأذن للمال أن يستعبد الناس، وكيف استطاعت شهوة السيطرة على الفقراء الضعفاء أن تطمس معالم الرحمة في نفسه، فراح المال بنفوذه يسيطر على المجتمع وراح يسرق حق الفقراء في الحياة، فسلب الضحك من شفاههم، ونزع السعادة من قلوبهم، فهيمن على كل سبل الحياة المادية والروحية.

فشاعرنا يقرر في هذه القصيدة أن الزواج الحق هو الذي يقوم على نظام الطبيعة، أي الاختيار المؤسس على الحب، وبهذا يرفع العسكر من شأن العاطفة ويقدمها على العقل والمال، فلم يعد الحب مجرد عاطفة جارفة بل صار لدى الرومانتيكيين عموما فضيلة من الفضائل، وكثيرًا ما كان يذكر الحب عند الرومانتيكيين مقرونا بالفضيلة، وكل حب صادق بطبيعته فيما يرون طاهر عفّ ولذا كثر في أدب الرومانتيكيين دعوى الحبيبين أنهما سيلتقيان أمام الله بعد أن فرقتهما مزاعم المجتمع، وكل زواج لا حبّ فيه – كالذي بين يدينا في هذه القصيدة – هو في الحقيقة فسوق غير مشروع[1].

٢ – الانشغال بقضايا الوطن:

يقول العسكر مخاطبا أمته العربية:

يـــا بنـــي العُـرْبِ إنَّمـا الضُّعْـفُ عَـارٌ
أيْ وَربـــي سَـلُوا الشُّـعوبَ القَويَّـه
كـم ضَعيـفٍ بَكـى ونـادى فَراحـت
لِبُـــكاهُ تُقَهْقِـــه المدْفَعيَّـــه
لغـةُ النـارِ والحديـدِ هـي الفُصْحـى
وَحَـــظُّ الضَّعيـــفِ منهـا المنيَّـه
هـا هـيَ الحَـرْبُ أَشْـعَلُوها فَرُحْمـاكَ
إلهـــي بالأُمَّـــةِ العَربيَّـــه
يـــا بنـــي الفَاتِحيـنَ حَتَّـامَ نَبْقَـى
فـي رُكـودٍ أَيْـنَ النُّفـوسُ الأَبيَّـه

(١) د/ محمد غنيمي هلال – الرومانتيكية – ص١٧١.

غُيْرُنـــا حَقَّـــقَ الأَمانـــي وبِتْنَـا
لـــمْ نُحقِّـــقْ لنَـــا ولا أُمْنيَّـــه
فمـــنَ الغَبْـــنِ أَن نَعيـشَ عَبيـدًا
أَيْـــنَ ذاكَ الإِبـــاءُ أَيْـنَ الحَمِيَّـه[1]

ثاني مظاهر الدعوة إلى المثل العليا هي الانشغال بقضايا الوطن، وهذا الغرض من أغراض الشعر وثيق الصلة بحياة العسكر وشعره، فنجده مبثوثا في كثير من قصائده، والحرية القومية تتمثل عند الشاعر العربي في قضايا التحرر والاستقلال، وهي ألصق بالوجه الإيجابي الذي يعبر عن إحساس الشاعر بقيم العزة والوطنية والانتماء، والشاعر يحس إزاءها بأنه يستطيع أن ينسى موقفه الوجداني من الحياة والناس، ويسهم في قضية مشتركة تجمع بينه وبين أبناء وطنه دون أن يرتد عن مفهومه الجديد للشعر، إذ يمتزج شعوره الوطني بشعوره الذاتي فتغدو القضية لديه تجربة تنبع من صميم وجدانه وتتلون بأسلوبه الشعري الخاص[2].

فلم يعد الحديث عن الكفاح الوطني إلا وجهًا من وجوه الحرية الذاتية له ما للتجربة الذاتية من شخصية فريدة وتنوع في التعبير والمواقف، وكلما كان الشاعر أكثر التحامًا بموضوعه القومي زادت الصورة وضوحا في وجدانه، وظهر أثرها جليًا في معجمه العاطفي وصوره الخيالية.

ويختلف الشعراء الوجدانيون في أسلوب تعبيرهم عن الموضوع القومي حسب نزعتهم الفنية وثقافتهم ومدى ارتباطهم بالتراث أو ميلهم إلى الجديد، وإن كانوا

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٣– ١١٤.
(٢)ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣٠٩.

جميعا يختلفون عن حركة الإحياء وامتدادها؛ حيث التزموا الصدق الفني بدرجة أكبر، وتجنبوا المبالغات التي تفقد التجربة حرارتها.

على أن الشعر القومي ليس كله على نحو واحد من الحماسة يصور البطولة والتضحية في سبيل الحرية، وتقتضي طبيعة موضوعه هذا التوازن بين القديم والحديث، فبعض الشعر القومي عند فهد يعبر عن أحزان الشاعر لمصير قومه أو وطنه أو ألمه لما يشهد من فرقتهم وضعف شأنهم، ويحاول الشاعر في مثل هذا اللون من الشعر أن يستثير حمية بني وطنه بالنقد الشديد اللاذع حينًا، وبالأسى العميق حينا آخر، وهذا اللون من الشعر- كما يرى الدكتور عبد القادر القط -[1] يظل يحمل رنة القديم - بطبيعة الموضوع - لكنه في الوقت ذاته يعكس لذعة التجربة العاطفية ولوعتها، ولشاعرنا العسكر قصيدة من هذا اللون يرثي بها وطنه بعد أن صار اقتصاد بلاده في يد حفنة من الأجانب، قد قالها بعد زيارة إلى منطقة (المقوع) وهي إحدى مدن البترول بالكويت، قال فيها:

وطني وكيفَ يعيشُ مثلي بُلبُلٌ ... ما بينَ ثُعبانٍ يفُحُّ وضِفدعِ

في أسرةٍ نَقَمَت عليَّ لرأفتي ... بفقيرها وصَراحتي وترَفّعي

جار الزمانُ فيا أساوِدَها الدغي ... وطغى القضاءُ فيا ضفادِعها اشبَعي

ما كان موردِيَ الحميمُ لو أنّني ... مَيتُ المشاعرِ لا أحِسُّ ولا أعي

غبنٌ يشفُّ الروحَ أن تتفَتَّحَ ... الأورادُ بين الوحلِ والمستنقَعِ

وطني ولي حقٌّ عليكَ أضعتَهُ ... وحفِظتَ حقَّ الداعر المتسَكّعِ

فلو أنّ لي طبلًا ومِزمارًا لما ... أقصَيتَني أو أنّ لي في المخدعِ

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر - ص٣١٢.

هـذي عقوبـةُ مَوطنـي وجنايَتـي ... هـيَ أنّنـي لتيوسِـهِ لـم أركَـعِ
فَقَبَعتُ في داري كصَقرٍ شـاكيًا ... ولـو أنّنـا فـي غيـرهِ لـم نَقبَـعِ
فلسَـوفَ أمكثُ فيه ما شـاءَ القضا ... ولسَـوفَ أرحَـلُ عنـه غيـرَ مـودعِ
فاطوي شـباكَكِ يا هلـوكُ فما أنا ... بالخائـنِ المتلَـوّنِ المتصَنّـعِ
خُلِـقَ الأثيـمُ مُبَرقَعًـا فثـوى بـه ... وأنـا خُلِقـتُ وعِشـتُ غيـرَ مُبَرقعِ
وَطني شكَوتُ لكَ الصدى فملأتَ لي ... كاسـي وغيـرَ الصاب لـم أتجَرَّعِ
وَوَأدتُ فـي فجـرِ الشـباب مآربـي ... وبكيتُهـا يـا ليتَـهُ لـم يطلـعِ
لهفي على قلبـي الجريح ولَوعَتي ... مـاذا جنـى يـا لَيتَنـي لـم أزرَعِ
القـردُ أضحـى لاعبًـا فـي ملعَبي ... وغـدا ابـنُ آوى راتعًـا فـي مَرتَعي
اللّهُ أكبرُ كيـفَ يُحفَظُ حقُّ مَن ... ركِبَ الخنـا ويُداسُ حقّ الألمعي
بل كيفَ يُمسـي ذلك الباغي وقد ... ثَبَتَـت إدانَتُـهُ ويُصبـحُ مُدّعـي
أمـنَ العدالـة ربّ أن أشـقى وأن ... أشـكو جراحي مُكرَهًـا للمِبضَعِ[1]

وشاعرنا العسكر في قصيدته هذه يمزج بين الذاتية والقومية فتظل تجربته الوطنية تحمل وهج الوجدان الذاتي، إن ما أصاب الشاعر من حزن وبؤس وفقر سببه غياب العدالة في وطنه الذي سيطر على مقدراته - في ذلك الوقت - العنصر الأجنبي، فباتت مأساة الوطن مأساة تمس كل فرد من أبنائه، فأضحى أبناء الوطن كالغرباء في أرضهم.

والعسكر من هؤلاء الشعراء الوجدانيين الذين يمزجون عواطفهم الذاتية ومشاعرهم الوطنية في إطار من الطبيعة التي تكون عنصرًا عاما في كثير من صوره

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١٣٧ - ١٣٨.

الشعرية، فجعل العسكر من البلبل رمزًا لكل وطني مخلص ينشد الخير لوطنه، وجعل الثعبان رمزا لكل خبيث ينفث سمومه ولا يبغي من مسعاه سوى الشر والفساد، أما الضفدع بنقيقه وضجيجه الفارغ فقد وظفه الشاعر ليكون رمزا لهؤلاء الذين لا يحسنون سوى التصفيق لصانعي القرار، فهم أبواقهم التي تتغنى بإنجازاتهم، وصورة الورد الذي نبت في الوحل والمستنقعات هي صورة هؤلاء المخلصين لوطنهم الذين لم تواتيهم الظروف للعمل في البيئة المناسبة، فمكانهم الروض الأفيح إلا أن الظروف دفعتهم إلى الوحل، وكانت صورة التيس رمزا معبرا عن الذي تولى مقاليد الأمور دون أن يكون جديرًا بهذا الذي اضطلع به، وكانت صورة الصقر القابع في وكره رمزًا لأهل الثقة الذين تم تنحيتهم وهم جديرون بأن يتبوءوا المكان الأسمى، وكان القرد رمزا للعابثين، وابن آوى رمزا لأصحاب الدهاء والمكر، وهكذا نجح العسكر في توظيف عناصر الطبيعة ليبرز لنا معاناته في وطنه في هذه الحقبة من التاريخ التي سيطر فيها الأجنبي على مقدرات وطنه.

- فلسطين في وجدان العسكر:

ما من شك في أن القضية الفلسطينية هي إحدى أكثر القضايا التي تناولها الشعراء العرب في نصوصهم، ورسّخوها مفهومًا ومضمونًا ورمزًا ودلالة، وبأبعادها التاريخية والاجتماعية والسياسية؛ لأسباب عديدة، أهمها: أنها كانت وما زالت وستظلُّ قضية قومية وطنية عربية، يُعدُّها شعراء العرب المؤمنون بها – على اختلاف مشاربهم ومنابتهم – قضيتهم المقدسة العادلة، فيطوِّعون كلماتهم وإبداعاتهم لخدمتها، بوصف الكلمة أحد أشكال الثقافة المقاومة، فضلًا عن كون القضية مصدر إلهام لهم، بحيث تنجب شعرًا وتنتج أدبًا.

وبطبيعة الحال فإن مهمة الشاعر الأولى هي محاكاة الواقع وتصويره بآلته الإبداعية، لأن الشعر منذ نشأته لم يكن بمعزل عن الواقع التاريخي والسياسي والاجتماعي والثقافي، ما يدفع الشاعر إلى جعله آلة رصد ترصد الأحداث التي يعيشها ويواكبها، فيتفاعل معها ويبيّن وقائعها في نصه الشعري.

وفي سياق الحديث حول القضية الفلسطينية في الشعر العربي، نجد أن فلسطين قد حظيت باهتمام واسع من الشعراء العرب، فاحتلت موقعًا ومكانة مرموقة في نصوصهم، وشكّلت دافعًا قويًّا في تجاربهم الشعرية؛ فمنهم مَن أفرد لها القصائد الطوال في دواوينه، ومنهم الآخر مَن صيَّرته الأحداث والمناسبات للكتابة والدفاع عنها.

لقد اتجهت أنظار الشعراء العرب إلى القضية الفلسطينية قبل نكبة عام ١٩٤٨م، فتتالت محاولاتهم الشعرية المشحونة بالتمرُّد ورفض تهويد فلسطين وتهجير سكَّانها، معتقدين أن الأمة العربية التي امتازت بالأصالة باتت تتعرض إلى محاولات مكثَّفة لطمس الهوية القومية، واتخذوا في نصوصهم الشعرية مواقف مبنية على الوضوح والصدق، فلم تكن غايتهم الأولى استعراض المَلَكات الإبداعية والفنية والجمالية، وإنما النضال من أجل الوطن الفلسطيني المهدد بالسلب، والنماذج زاخرة في التاريخ الشعري العربي؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، يرفض الشاعرالقروي رشيد سليم الخوري – أحد شعراء المهجر الأمريكي – وعد بلفور عام ١٩١٧، ويناشد العرب؛ ليتَّحدوا[١]، فيقول:

الحـقُّ منـكَ ومـن وعـودِكَ أكبـرُ

(1) http://www.addustour.com/articles.

احسبْ حسابَ الحقِّ يا مُتجبِّرُ
يَعِدُ الوعودَ وتقتضي إنجازَها
مُهَجَ العبادِ خَسِئتَ يا مُستعمِرُ
لو كنتَ من أهلِ المكارمِ لم تَكُنْ
من جَيْبِ غيركَ مُحسِنًا بُلْفُرُ(١)

أما شاعرنا العسكر فقد دعي إلى محفل لاستقبال المعلمين الفلسطينيين في الكويت فقال تلك القصيدة:

باللهِ يا رُسلِ الثقافةِ خبّرو ... نا كيف حالُ الأختِ يا إخواني
أعني فلسطينًا وكيف أميـ ... ـنُها وجنودُه وبقيّةُ السكّانِ
بعدَ الكفاحِ وبعدما بثّ اليهو ... دُ شُرورَهم فيها بكُلّ مكان
إنّي سمِعتُ نداءَها وسمِعتُ تَلـ ... ـبيةَ الضياغمِ من بني عدنان
وزئيرَ أشبالِ العروبةِ من بَني ... غسّانَ لا نُكِبوا بنو غسّان
وتقولُ يا أشبالَ آسادِ الشرى ... جاءَ اليهودُ ودنّسوا أحضاني
لا درّ درّ الغادرين فإنّهُم ... وعدوا اليهودَ بقسمةِ البُلدانِ
وبنيَّ كالغرباءِ في أوطانِهم ... أو ليسَ هذا مُنتهى الطغيان
فهناكَ فاضَت بالدموع محا جرى ... وَأَجبتُها بتوَجّعٍ وحنانِ
يا مَهبطَ الوَحي القديم ومَرقدَ ... الرُسلِ الكرامِ ومَنبعَ الأديان
لا تحزني ليسَت بصفقةِ رابحٍ ... يا أُختُ بل هيَ صفقةُ الخسرانِ
ما وَعدُ بلفورٍ سوى أُمنيةٍ ... ونداؤُهُ ضربٌ منَ الهذَيانِ

(1) http://www.addustour.com/articles

أبنـاءُ عدنـانٍ وغسّـانٍ ومـا ... نادَيـتُ غيـرَ الصيـدِ والشـجعان

الصامدونَ إذا الصفـوفُ تلاحَمَت ... وتصـادمَ الفُرسـانُ بالفُرسـان

والضاحكـونَ إذا الأسـنّةُ والظبـا ... هتَكَـت ظـلامَ النَقـع باللمعـان

والهاتِفـونَ إذا الدمـاءُ تدفّقَـت ... أعنـي دمـا الأبطـالِ بالميـدانِ

وإذا الصـوارمُ والقَنـا يـومَ الوغـى ... ذَرَفَـت علـى الشـهداءِ دمعًـا قاني

آنَ الأوانُ وقيتُمـو كيـدَ العِـدا ... والخَصـمُ بالمرصـادِ كالثُعبـانِ

ثـوروا وَرُدوا كَيـدَهُ فـي نَحـرهِ ... وذيولـهِ لا عـاشَ كلُّ جَبـانِ

مـا كانَ بالحسـبانِ أن يهبـوا ... اليهـودَ بلادَنا ما كانَ بالحسـبانِ

لتُبَرهنـوا أنّ النفـوسَ أبيّـةٌ ... وليرجِعـوا بالـذلِّ والخـذلانِ

يانـشءُ هـل من نهضـةٍ نُحيي بها ... المجدَ الأثيـلَ كنَهضـةِ الجابانِ

يا نـشءُ هل مـن وثبةٍ نشـفي بها ... هـذا الغليـلَ كوثبـةِ الطليـان

يا نشءُ هل من صرخـةٍ تدع العِدا ... صرعى الذهولِ كصرخَةِ الألمان

يـا نـشءُ عَرقَلَـتِ العمائمُ سـيرنا ... والديـنُ أضحـى سُـلّمًا للجانـي

يـا نـشءُ وا أسـفا علـى ديـنٍ غدا ... أحبولـةً للأصفـر الرنـانِ

فجرائـمُ العلمـاءِ وهـيَ كثيـرةٌ ... تنمـو بظـلّ الصفـحِ والغُفـران

كيـفَ النهـوضُ بأمَّـةٍ بلهـاءَ لا ... تنفَـك عاكِفَـةً علـى الأوثـان

هيهـات نبنـي مـا بنـاه جدودنـا ... وننـال فـي هـذي الحيـاة أمانـي

وشـريعةُ الهـادي غدت واحسـرَتا ... فـي عالـمِ الإهمـالِ والنسـيانِ

نرجو السـعادةَ في الحياة ولم نُنَفِّـ ... ـذ فـي الحيـاة أوامـر القـرآن

بالديـنِ قـد نـالَ الجـودُ مناهـمُ ... وغـدوا وربـي بهجـةَ الأزمـان

فتحوا الفتـوحَ ومهّدوا طُرق العلا ... واستسـلَمَ القاصـي لهـم والداني

طـرَدوا هِرقـل فـراح ينـدبُ ملكهُ ... وقَضـوا على كسـرى أنوشـروانِ

وعَنَـت إلـى الخطابِ تخطـبُ ودَّهُ ... رُسـلُ الملـوكِ لهيبَـةِ السـلطانِ

والسـعدُ رافـقَ سـعدَ فـي غرواتهِ ... فقَضـى صـلاةَ الفتـحِ بالإيـوانِ

وتقَهقـرت ذعـرًا لصولـةِ خالـدٍ ... يـومَ النـزالِ كتائـبُ الرومـانِ

قـادَ الجيـوشَ بهمّـةٍ وثّابَـةٍ ... وبـهِ تحُـفُّ ملائِـكُ الرحمـنِ

والمجـدُ تَوَّجـهُ بتـاجٍ زاهِـرٍ ... مـا مثلـهُ تـاجٌ مـن التيجـانِ

وغزا صميمَ الشـرقِ جيـشُ قُتَيبَةٍ ... وتوَغّـلَ ابـنُ زيـادِ فـي الأسـبانِ

وبنـى معاويـةٌ بجلَّـقَ عرشَـهُ ... فأضـا سـماءَ الشـرقِ تـاجُ البانـي

وحنَـت لهَيبَتِـهِ الملـوكُ رؤوسَـها ... ولمـن تـلاهُ مـن بنـي مـروانِ

وأقـامَ هـارونُ الرشـيدُ وإبنُـهُ ... المأمـونُ صـرحَ العلم فـي بغدان

ومجالسُ العلمـاءِ والعظماءِ والأد ... بـــاءِ والشـــعراء والندمـان

واليـومَ أينَ حضـارةُ العـربِ التي ... أنوارُهـا سـطَعَت علـى الأكـوانِ

وبنايـةُ المجـد التي قـد ناطحَت ... هـامَ السـماكِ ومشـعلَ العِرفـانِ

عصفَـت بهـا ريـحُ الفسـاد فهدّتِ ... الأركانَ رغـمَ مناعـةِ الأركان

وطنـي وصيّرنـا الزمـان أذلّـةً ... لنعيـشَ فـي الأوطـان كالعبدانِ

نعصـي أوامـرَ كلّ فـردٍ مُصلـحٍ ... والديـنُ ينهانـا عـن العِصيـان

والختـلُ والتدجيـلُ قـد فتـكا بنا ... وتَقودُنـا الأطمـاعُ كالعميـانِ

كلٌّ بميـدانِ للذائـذِ والهـوى ... تَلقـى عواطِفَـه بغيـرِ عنـانِ

ذو المـالِ نغفـرُ ذنبَـهُ ونُجِلّـهُ ... أبـدًا فتلقـاهُ عظيـمَ الشـانِ

أمّـا الفقيـرُ فـلا تسَـل عـن حالهِ ... حـالٌ تُثيـرُ لواعـجَ الأشـجانِ

والحُـرُّ نُشـبعهُ أذىً ونُذيقـهُ ... سـوءَ العـذابِ ولا يـزالُ يُعانـي
ونُحيـطُ بالتعظيـمِ كلّ منافـقٍ ... بـاعَ الضميـرَ بأبخـسِ الأثمـانِ
ما نحـنُ في وطنٍ إذا صـرخَ الغيو ... رُ بـهِ يـرى نفـرًا مـن الأعـوانِ
مـا نحنُ فـي وطـنٍ إذا نـادى الأبـ ... ـيُّ بـه يُجـابُ نـداهُ يـا أقرانـي
وطـنٌ بـهِ يتجـرَّعُ الأحـرارُ وا ... أسـفاهُ صـابَ البُـؤسِ والحرمـانِ
ويـلاهُ أجنِحَـةُ الصقـورِ تكسَّـرَت ... والنسـرُ لا يقـوى علـى الطيـران
وأرى الفضاءالرحبَ أصبحَ مسرَحًا ... واحسـرَتا للبـوم والغربـانِ
والليـثُ أمسـى بالعريـنِ مُكَبَّـلا ... والكَلـبُ يرتَـعُ فـي لحـومِ الضانِ
فلـمَ التخـاذلُ والعروبـةُ أُمُّنـا ... ولـمَ الشـقاقُ ونحـنُ مـن عدنانِ
فتعاضـدوا وتكاتَفـوا وتآلفـوا ... وتسـاندوا كتسَـاندِ البُنيـانِ
وتآمـروا بالبـرِّ والتقـوى ولا ... تتآمـروا بالإثـمِ والعـدوانِ[1]

يوجه الشاعر في مطلع قصيدته حديثه لمعلمي فلسطين الذين أتوا الكويت في بعثة تعليمية ويناشدهم أن يخبروه عن حال فلسطين في ظل الاستعمار البغيض، والعسكر في هذه القصيدة يذكي روح الحماس في أمته العربية والإسلامية، فتارة يلعب على وتر العروبة بشكل عام فيتحدث عن أصل العرب وأجدادهم فيذكر عدنان (جد النبي ﷺ) وغسان (الذي سكن الشام في القرون الغابرة)، وتارة يلعب على وتر الدين الواحد لهذه الأمة وهو دين الإسلام، فيذكر الأمة بماضيها الأثيل وريادتها المنصرمة للعالم أجمع، فيذكر الأمة بإنجازات أسلافها كخالد ومعاوية وهارون الرشيد، ولكل وتر من هذين (العروبة والإسلام) جمهوره ومؤيدوه.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١٢٣-١٢٦.

ثم يدلف شاعرنا في وضوح إلى الأسباب التي من أجلها تخلفت الأمة عن ركب الحضارة والتقدم، وهي عصيان أهل المشورة والرأي وطاعة الأهواء والأطماع، وتنحية العلم والسير في ركب الدجل والخرافات التي لا تغني صاحبها شيئا، وانعدام العدالة الاجتماعية التي ينشدها المصلحون، ثم لا يلبث أن يدمج شاعرنا الوجداني الطبيعة في تصويره للمنافقين المفسدين والمصلحين، فنجد الاستعارات تترا حول هذين الصنفين من الناس، فنجد الصقر الذي تكسرت أجنحته، ونجد النسر العاجز عن التحليق، حتى أصبح الفضاء مسرحا لكل الطيور الكريهة مثل البوم والغربان، وصورة الليث المكبل والكلب الراتع بلا حساب، كلها صور تظهر هذه المفارقة الفجة بين ما يلاقيه المصلحون في أوطانهم من ذل وهوان، وبين ما ينعم به المنافقون رغم إفسادهم لبلادنا.

ثم يختم شاعرنا قصيدته موجها حديثه لأمته العربية ناصحا إياها بالاتحاد وعدم الشرذم مقتبسا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وهكذا كانت قضية فلسطين راسخة في وجدان الشاعر الكويتي فهد، فصور لنا المحنة وتداعيتها وأسبابها والسبيل إلى حلّها.

- الجندي في ميدان القتال:

وجدير بنا أن نتوقف قليلًا أمام واحدة من صور الشعر الوطني؛ لنستجلي صورة الشهداء الذين سقطوا في ساحة الجهاد الوطني بعيون الرومانتيكية، ويدور مغزاها العام حول تمجيد منزلة الشهيد، وسمو مكانته فيما بعد الموت، لكن الشاعريقدم هذا المغزى من خلال عدد من المشاهد المتتابعة التي تتآزر معًا على أدائه، فالمشهد الأول

يبدأ برصد نقطة الذروة في الموقف، وهي عشق الشهيد للمجد وبغضه للذل الأمر الذي حدا به ليبذل روحه في سبيل تحقيق هدف نبيل هو نوال حريته وحرية وطنه.

عشق المجد والهوى فكرةٌ تنمو ... وتسمو بالروح والوجدان
واجتوى الذل كيف لا وهو حرّ ... أيطيق الأحرار عيش الهوان
يا له الله من همامٍ غيورٍ ... صادق العزم ثابت الإيمان
حَمَلٌ قبل أن تدول الرحى ليـ ... ـثٌ إذا أوشكت قويّ الجنان
يتغنى والموت منه قريب ... بالمنى والجنديّ رمز التفاني
أيّ وقع في النفس صاح لمرأى ... مستميت يختال في الأكفان
تتراءى في عينه صور قد ... أخرست عبقريّة الفنان
رسمتها بريشة الحزم والعز ... م يد الحق في أدق معان
وإذا ما دعاه قائده الباسل لبـ ... ـى بالروح لا باللسان
يتخطى الصعاب غير مبال ... بزفير الآلات والنيران
وزئير الحديد في أذنيه ... شدو قيثارة ورجع مثاني
وأنين الجرحى وحشرجة المو ... تى هتافٌ لا عاش كلّ جبان
ويزيد الملاح في ثورة اليم ... نشاطا مهارة الربّان
دمه في عروقه أجّجته ... ثورة الروح فهو في غليان
هاتف صارخ به وهو في ليـ ... ـلٍ من النقع بين سحب الدخان
وكؤوس الردى يطوف بها الهو ... ل فللّه سكرة الندمان
كلما صفّق العلا لشهيد ... هتف المجد للشهيد الثاني
أي بأس كبأسه حيثما ثار ... بوجه الأعداء كالبركان
ثورة زلزلت قلوبا وأرواحا ... فباء العدو بالخذلان

إن للحـقّ صولـةً تصـرع الظلـم ... وتـودي بالبغـي والطغيـان
وجنـودا تمدّهـم قـوّة اللـ ... ـهِ ويرعاهـم بعيـن الحنـان
وجـلالًا مـلءَ النفـوسِ تجلـى ... بثبـات الشـيوخ والشـبّان
وجمـالًا حـواه أسـمى وسـام ... رصّعتـه الجـروح بالمرجـان
إيـه يـا ابـن الحريّـة البكـر ... أبليـت فـإن يهدمـوا فأنـت الباني
فعليـك السـلام حيّـا وميتـا ... وتقبّـل منّـا أحـرّ التهـاني[1]

تتجلى في الأبيات هذه القيم في عظمة الاستشهاد دفاعًا عن حرية الوطن، وفي سمو منزلة الشهيد عند الله، وخيال الشاعر هنا يحلق كثيرًا في جو التراث الإسلامي، ويستنشق عبيره، لكن من الحق أن يقال: إنه لم يسقط أسيرًا لمعطيات هذا التراث، فردده ترديدًا باهتًا، وإنما سكب فيه من أصالة فنه وخصب إبداعه. فنرى صورا طريفة قد اختلجت روح تلك التجربة، مثل قوله: «عشق المجد «و «الهوى فكرة «و «ريشة الحزم «و «رصعته الجروح «فأكسبت التجربة جدتها.

٣- الحنين إلى الماضي:

للشاعر الوجداني ملاذ آخر غير الحب والطبيعة وأغاني الحرية، وهذا الملاذ هو الماضي بكل ما فيه من ذكريات ممتعة أو مؤلمة، وتذكر الماضي واستحضار صورته في الذهن عند العسكر يمكن أن يعد نظير الحلم بالغد، فكلاهما ينتزع الشاعر من الحاضر البغيض إلى عالم مغلف بحنان الذكرى، لذلك يبدو الماضي وكأنه وجود مطلق لا تحده ذكريات بعينها فهو ليس حنينا إلى ما كان، بل توقًا إلى ما كان ينبغي أن يكون[2].

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٩٧ – ١٩٨.
(٢) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣١٦.

يقول العسكر:

ليلـةٌ ذكرياتُهـا مـلءُ ذهنـي وهـي في ظلمةِ الأسـى قنديلي[1]

وحنين العسكر إلى الماضي قد يظهر فيه الإشارة إلى تجربة عاطفية، ولكن هذه التجارب تبدو بدورها في متاهات الماضي البعيد، بحيث لا تظهر معالم التجربة، يقول العسكر:

يا عروسَ الإلهامِ موعدُكِ الشاطئُ مـأوى العشـاقِ عنـدَ الأصيـل
فإلى الملتقى هناكَ وهاتِ الشـعرَ مـن وحـيِ دمعـيَ المطلـولِ
وزَفيـري علـى المنـى وشـهيقي وهـيَ صرعى على يقينـي القتيلِ
وصراخُ الأشـجانِ في مُهجَةِ النف سِ وصمتُ الأسى الممضّ الطويل
ونـواحُ الآمـالِ فـي غمـرَةِ اليـأ سِ وجهـشُ المعـذّبِ المخـذولِ
نفّسـي عـن مُعَـذَّبِ الصـدرِ حبًّـا ليعـودَ الكـرى لجَفنـي الكليـل
فالمنى والـرؤى وحلمُ الصبا وهمٌ ولا عـاشَ كلُّ صـبٍّ بخيـلِ[2]

والحنين إلى الماضي عند فهد ذو شقين، شقٌّ يختص بشخص الشاعر وتجاربه الخاصة وذكرياته (كما مر بنا)، وشق يتصل بماضي أمته وما يشتمل عليه من عراقة وبطولات وأمجاد، وهو المقصود هنا إذ عمدنا إلى الحديث عن المثل العليا، وماضي الأمة يأخذ عند العسكر حينًا بعدًا قوميًا يتعلق بالجزيرة العربية وبتاريخها بوجه عام، أو ببلده الكويت بشكل خاص، وأحيانا يتناوله من وجهة دينية فيتحدث عن ماضي الأمة الإسلامية عمومًا.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤٨.
(٢) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١٤٨.

والحديث عن التاريخ والبطولات عند شعراء الرومانتيكية له سحر خاص؛ إذ يحقق من خلال التغني به كثيرا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه ولحظته الحاضرة، كما يتيح له البعد الزمني، وما يغلف به الزمنُ التاريخَ به من جوّ شبه أسطوري مجالا للخيال والإبداع، ويشتد إحساس الشاعر الوجداني العربي بالتاريخ ويزداد تعلقه ببطولاته كلما ألح عليه الشعور بأن حاضر أمته لا ينهض إلى مستوى ماضيها العريق، وكلما ضاق بما يشهد في بلاده من تفرق الكلمة أو ضعف الهمة أو نسيان تلك البطولات والأمجاد(١).

ونلمس أن شعر البطولة والحديث عن الأمجاد – عند فهد بشكل خاص وعند الرومانتيكيين بشكل عام – يجنح إلى طبيعة الشعر القديم في إيقاعه العام، بكل ما يتضمنه من خصائص، حيث الألفاظ الرصينة، والخيال المستمد من التراث، وهو أمر يفرضه الموقف، ويقتضيه سياق الحديث عن أمجاد الماضي.

وللأمجاد الدينية مكان مرموق في شعر هؤلاء الشعراء، فكما شغف القصاصون والروائيون باستحياء البطولات والتضحيات والنماذج الإنسانية الفريدة من أحداث الإسلام ووقائعه الأولى وشخصياته المعروفة، وجد الشعراء في ذلك كله مثارًا لوجدانهم الذي يعشق المثل العليا ويحن إلى الآفاق الروحية الأولى(٢)، يقول العسكر في ذكرى مولد النبي ﷺ:

طـلَع الفـجـرُ غَـنِّ يـا قـمـريّه ... واطربـي الروحَ بالأغاني الشَـجيّه

واشـدُ يا طيـرُ بالغُصونِ وأيقِظ ... بـأناشـيـدِكَ الزهـورَ النـديّه

(١) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣١٨.

(٢) ينظر: د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – ص٣٢١.

مـلأ الفجـرُ أكـؤسَ الوردِ راحـا ... لـك تُـزري بـالصرفَـةِ البابـليّه

فإذا مـا اصطبَحـتَ يا طيرُ عبّر ... مـا رأى الوردُ مـن رؤىً سِحريّه

وتـقـبّـل وأنـتَ نـشـوانُ شـادٍ ... قُـبُـلاتِ النـسـائم العـطـريّه

هـا هو الصبـحُ قد تبـدّى تُحَلّي ... ثَـغـرهُ الحـلـوَ بسـمـةٌ ورديّـه

وانظُـرِ الكونَ كَيفَ يَرفُل يا طيـ ... ـرُ بـتـلكَ الغـلائِلِ العَسجـديّه

يـا صَباحًا لِخَيرِ يـومٍ تجلّى ... جـئتَ أهـلًا وألف ألفِ تـحـيّه

بَزَغَت فوقَ فرقِكَ الشمسُ تاجًا ... تَـتـلالا أنـوارهُ الذهـبـيّه

غـابَ بـدرُ السمـاءِ لمّـا تبَـدّى ... وتـوارت منـهُ النجـومُ السنيـه

كـيـف لا يُمنَحُ الجمـالَ وفيهِ ... أشـرقَـت طلعـةُ النبـي البهـيّه

طلعـةُ المنقـذِ العظيـمِ الذي ... أنقذَهُـم من مخـالبِ الجاهليّه

طلعـةُ المصـلحِ الذي أسعد النا ... سَ بـظـلّ الشـريعـةِ الأحمديّه

خـصّهُ اللهُ بـالهـدى فـتجـلّت ... حِـكـمـةُ اللهِ خـصّ نـبـيّه

قُـرشِـيٌّ صـلّى عـليـهِ وأثـنـى ... بـالكتـابِ المجيـد ربُّ البـريّه

يـا بنـي العُـربِ والكـوارثُ تَترى ... أوقِفـوا سيـرَها وصونـوا البقيّـه

يـا بنـي الفاتحيـنَ إنّـا بعَصـرٍ ... لا مُـسـاواةَ فيـه لا مدنـيّه

لا إخـاءٌ كمـا ادّعـوا لا حقـوقٌ ... لضَـعـيـفٍ عـانٍ ولا حُـريّه

بل بعصرٍ فيـهِ الضعيفُ مُهانٌ ... فـالنجـاةَ النجـاةَ المشرفـيّه

يـا بـني العربِ إنّما الضعـفُ عارٌ ... إي وربّـي سـلوا الشعـوبَ القويّه

كم ضعـيفٍ بكى ونادى فراحـ ... ـت لِبُكـاهُ تُـقَهـقِهُ المدفعـيّه

لُغَـةُ النارِ والحديـدِ هيَ الفُصحـ ... ـى وحظّ الضعيـفِ منها المنيّه

ها هـيَ الحـربُ أشعَلوهـا فَرُ ... حمـاكَ إلهـي بالأمّـةِ العربـيّه
يـا بنـي الفاتحـين حتّـامَ نبقى ... في رُكـودٍ أينَ النفـوسَ الأبيّه
غَيرُنـا حقّـقَ الأمانـي وبتنـا ... لَـم نُـحـقّـق لنـا ولا أمنـيّه
فمِـنَ الغَبـنِ أن نعيـشَ عبيدًا ... أيـنَ ذاك الإبـاءُ أيـنَ الحَمِـيّه
قُم معـي نَبـكِ مجدَنا ونسحُّ ... الدمـعَ حُزنًا ونـنـدبُ القَوميّه
قُـم معي نسألِ الطـلولَ عساها ... تَـشـفِ بـالردّ غـلّةً روحـيّه
وعن ابـنِ الخطّابِ من حكمهُ العـ ... دل وسعـدٌ بـوقعـةِ القادسيّه[1]

يستهل الشاعر قصيدته تلك بمقدمة على غرار الشعر القديم، ولكنها ليست مقدمة غزلية، بل مقدمة في التغني بجمال الطبيعة من حوله، وهذه التقنية منتشرة في شعر العسكر، حيث يستعيض العسكر بمقدمته في ذكر جمال الطبيعة عن المقدمات التقليدية، في محاولة للجمع بين المدرستين، ثم ينتقل الشاعر إلى موضوعه الأساسي وهو الحديث عن ميلاد النبي ﷺ.

وشاعرنا في هذه الأبيات قد جعل من ذكرى مولد النبي ﷺ مدخلًا يلج منه إلى موضوعه، حيث ركز على إظهار هذه المفارقة بين ما كان عليه الأولون من رفعة وسيادة، وما صرنا إليه من هوان وضعة، داعيًا قومه وأمته العربية للتمسك بما كنا عليه في سالف الدهور؛ حتى نسترد مكاننا المرموق بين الأمم

كما حرص الشاعر أن يركز على ما اتصف به النبي ﷺ من جميل الخصال وحسن الشمائل، في دعوة إلى التأسي به، في عصر لا يعرف سوى لغة النار والحديد والحروب، والشاعر يُذّكر قومه بأجدادهم الذين سادوا في زمانهم،علّهم يفيقوا من رقادهم.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – ص١١٥-١١٦.

وله قصيدة أخرى في ذكرى مولد النبي ﷺ يقول فيها:

كَفكِف بربّك دمعكَ الهتّانا ... وافرَح وهنّيء قلبكَ الولهانا

واهتِف وصفّق واحسُ من راح اللـ ... ـقا كأسًا لكيما تطرد الأحزانا

واسكُب أناشيدَ اللقاء بمَسمَع الـ ... ـدهر المصيخ وردّدِ الألحانا

بُشراكَ ذا يومُ الولادةِ قد أتى ... فعساهُ يوقظُ روحَك الوسنانا

أو ما رأيتَ صفاءهُ وبهاءَهُ ... وجلالهُ وجمالَهُ الفتّانا

قُم يا أخا الشوق الملح وحيّه ... وانثُر عليه الوردَ والريحانا

الورقُ تشدو والبلابلُ سُجّع ... والروضُ يرقُص ضاحكا نَشوانا

وعلى الأزاهرِ وهي تبسِمُ للضحى ... نثَر الصباح زُمُرّدا وجمانا

هبّت نسائِمُه لتَنثُر طيبها ... وتُداعِب الأوراد والأغصانا

والكونُ يبدو مشرقًا مُتَهلّلا ... متَبسّما للقائِه مزدانا

وعرائس الإلهامِ قد طلَعَت فقُم ... وابن القوافي وارسُم الأوزانا

انظُم لآلِئَها لهُ وعقيقَها ... ثمّ انثُر الياقوت والمرجانا

يا أسعدَ الأيام يا عنوانَها ... أنعِم وأكرِم إن تكُن عنوانا

لَم تَشفِ راحُ الذكرياتِ أوامَنا ... فعَسى نبُلُّ من اللقاءِ صدانا

يا أبرَك الأعياد ألفُ تحيّةٍ ... منّا تفيضُ عواطِفًا وحنانا

أرواحنا رَشَفَت بفجرِكَ حلمَها ... وقلوبُنا قد صفَّقَت مُذ بانا

عَشِق الملائِكُ بالسماءِ جمالَهُ ... وسبى سناهُ الحور والوِلدانا

يا فجرَ يومِ ولادةِ الهادي أطِل ... لَّ على النفوسِ وبدّدِ الأشجانا

وابعَث بها ميتَ العواطِفِ واطرد ... اليأسَ المُضّ وأيقظِ الإيمانا

بك أشرقَ المختارُ في رادِ الضُحى ... شمسًا أنارَ سناؤُها الأكوانا

إنّـي لألمـحُ فـي جمالِكَ مسـحةً ... مـن حُسـنهِ أغـرَت بـكَ الوجدانـا
وعلـى جبينِـكَ مـن سـناهُ غُـرَّةٌ ... لـم تعـدَمِ الـلالاءَ واللمَعانـا
يـا مَـن بهـذا اليـومِ أشـرقَ نـورهُ ... وأضـاءَ في قبـسِ الهـدى الأذهانا
وأنـارَ بالإيمـانِ أفئِـدةَ الـورى ... وأزالَ عنهـا الغـشّ والأدرانـا
وبنـى منـارَ العـدلِ بعدَ سـقوطهِ ... فمحـا ضيـاهُ الظلـمَ والطغيانـا
قُم يا رسـولَ اللهِ كي نشـكو إليك ... فمـن سـواكَ نبثّـهُ شَـكوانا
قُـم يا رسـولَ اللهِ وانظُـر هل ترى ... إلا شُـعوبًا تعبُـدُ الأوثانـا
قُـم وانظر الديـنَ الحنيـفَ وأهلَهُ ... أعـزِز وأكبِـر أن تـراهُ مُهانـا
قُـم واهدِنـا واعمـر خـرابَ قُلوبنا ... إنّـا نَبَذنـا الديـنَ والقرآنـا
إنّـا نسـينا اللهَ حتـى سـلّطَ ... البـاري علينـا يـا نبـيُّ عِدانـا
ويـلاهُ أهمَلنـا التعاليـمِ التـي ... جـاءَ الكتـابُ بهـا فمـا أشـقانا
مـا أن تَرَكنـا البـرَّ والتقـوى معًا ... حتّـى ألِفنـا الإثـمَ والعُدوانـا
نعصـى أوامِـرَ كلّ فـردٍ مُصلـحٍ ... والديـنُ عـن عِصيانـهِ ينهانـا
والختـلُ والتدجيـلُ قـد فتـكا بنا ... وتقودُنـا أطماعُنـا عميانـا
كلّ بميـدان اللذائـذِ والهـوى ... يجـري ومـا تلقـى لديـهِ عنانـا
أمـا الفقيـرُ فـلا تسـل عـن حالهِ ... حـال تُثيـرُ الهـم والأحزانـا
مسـكينُ لا يشـكو ويـندبُ حظـه ... ونصـم دون شـكاتهِ الآذانـا
أمـا الغنِـيُّ فقلبـهُ ويمينـهُ ... لا يعرفـانِ العطـفَ والإحسـانا
يختـالُ فـي حُلَـلِ الهنا بينـا ترى ... ألـفَ التعاسَـة ذاك والحرمانـا
المـالُ سـيدُنا ونحـنُ عبيـدهُ ... أو لَـم تـرَ التسـليمَ والإذعانـا
أو مـا ترانـا بالمبـادىء والضمائِرِ ... كيـف نفـدي الأصفـرَ الرنّانـا

والكلّ منا بالموائدِ والملابس والأثـ ـاثِ يُفاخِـــر الأقرانـــــا
أطفالُنـا اتّخَذوا الشـوارع مسـكنًا أفَينبَغـي أن نُهمِـلُ الصبيانـا
آباؤُهُـم لا يرحمونَهُـمُ ولَـم يجـدوا بصَـدرِ الأمّهـاتِ حنانـا
فيشِـبّ والفحشـاءُ ضـرعُ لبانـهِ والذِنـبُ ذنـبُ رجالنـا ونِسـانا
هـذي جرائِمنـا وهـل أربابُهـا يرجـونَ بعـدُ الصفـحَ والغُفرانـا
يـا عيـدُ إن نَشـكو إليـكَ فإنّمـا نَشـكو إلـى مـن جاءَنـا فهَدانـا
العالـمُ العربـيُّ يرنـو حائِـرًا قَلِقًـا إلـى مَـن أوقَـدوا النيرانـا
وَيـلاهُ قـد جَهِـلَ المصيرَ فواسِـه يـا عيـدُ وامسَـح دمَـعُ الهَتّانـا
حدّثهُ قد طـابَ الحديثُ عن الألى فعسـى تُثيـرُ بنَفسـهِ البُركانـا
عـن مجدِنـا وملوكِ أهـلِ الأرض هـلا نَكّسـوا الأعـلامَ والتيجانـا
حـدّث عـن الفـاروقِ عنـوانِ العدا لـتِ كيفَ شـاد الملكَ والسـلطانا
وعـن الغضنفَرِ سـعدِ هـلّا زَلزَلَت بزَئيرِهـــا أشـــباله الإيوانـا
وعـن الفتـى المقدام أعنـي خالدًا أيّـامَ مَـزَّقَ جيشُـه الرومانـا
وعـن الشـام وعـن معاويَـةَ الذي أعلـى البنـاءَ وشَـيّدَ الأركانـا
وأدِر علـى أسـماعِنا ذكـرَ الـذي للصيـنِ قـادَ الصيـدَ والشـجعانا
والضيغـمِ ابـن زياد طـارقَ كيف قـادَ السُـفن لمّـا أن غـزا الإسـبانا
رَجِّـع بربِّـك قولَـه إن العـدوَّ أمامَنـا أمّـا الخِضَـمُّ وَرانـا
وعن الرشـيد وكيفَ أشرقَ تاجُه شمسًـا أنـارَ سـناؤُها البلدانـا
في عصـرِهِ الذهبي صفّـقَ راقصًا طرِبًـا علـى هـامِ السـماكِ لِوانـا
والمجـدُ مزدَهِـرٌ مطـلٌّ مـن عـل عشـقَ الوجـودُ شـبابَهُ الرّيّانـا
كانـوا على وَجه البَسـيطةِ سـادة أبـدًا وكنّـا بعدَهُـم عبدانـا

عبثَ الفسادُ بنا فبَعثرَ ملكَنا ... والجهل شَتَّتَ شملَنا فكَفانا

أبناءَ يَعربَ والكوارثُ جمَّةٌ ... هيّا انبذوا الأحقادَ والأضغانا

وتآلفوا وتكاتفوا وتساندوا ... مُتَراصفينَ وحرّروا الأوطانا

إنّا بعصر لا يعيشُ به سوى ... من كان يملِكُ صارمًا وسِنانا

هُم أعلَنوا الحربَ العوانَ على سِـ ... ـواكَ وأعلنوا حربا عليكَ عوانا

الأرضُ ترجفُ والسما مغبَرّةٌ ... وبكل ناحيةٍ ترى شَيطانا

والبحرُ يبدو عابسًا مُتَجَهّمًا ... أينَ الأمانُ لِنَسألَ الرحمانا

غازٌ وألغام بها كمنَ الردى ... والطائرات تُطاردُ الإنسانا

ومدافعٌ والموتُ من أفواهها ... أجرى الدماءَ وفرّقَ الأبدانا

وقنابلٌ صرعَ القلوبَ صراخُها ... ويلاهُ تمحو الدورَ والسكانا

لم يسلَمِ الطفل الرضيع وأمّه ... منها وتُردي الشيبَ والشبانا

أنّى التفتّ فلا ترى إلا حديدًا ... أو شواظًا محرِقًا ودُخانا

نارٌ ولكنّ الضعيفَ وقودُها ... واحَسرتا إن أعلنَ العصيانا

هذي ميادينُ القتالِ تعدّدت ... وبكلّ ناحيةٍ ترى ميدانا

فقد انبرى العُقبانُ ينفثُ سمّهُ ... في كلّ جو فاحذروا العُقبانا

رحماكَ ربّي فالدما مستنقعاتٌ ... خضّبَت وجه الثرى العُريانا

طفَتِ الجماجمُ فوقَها وتناثرَت ... من حولها الأشلاءُ يا مولانا

يا عيدُ أينَ السلمُ طالَ غيابُه ... فمَتى يعودُ وهل يخيبُ رجانا

أفرادَ يعرُبَ والعروبةُ تَشتكي ... هلّا شفَيتُم قلبَها الحرانا

هيَ تستجيرُ بكم فقوموا وأقسِموا ... يا قومُ ألّا تُغمِضوا الأجفانا

واستَمسِكوا بالعروَةِ الوُثقى وكونوا ... صادقينَ عقيدةً ولِسانا

كلّ الشعوبِ تقدّمَت وتحَرّرت ... أيروقكُم سجنُ الحياةِ مكانا
يا نشءُ أمّتِ يعرُبٍ عقدت عليك ... رجاءَها قم قدّم القربانا
يا نشءُ يا أملَ البلاد وسؤلَها ... أقسِم على أن لا تطيقَ هوانا
أقسم لها أن لا تنامَ وأن تظلّ ... على الولاءِ لها وأن تتفانى
أقسم على أن لا يعيشَ بأرضِها ... من باعَ مبداهُ وشَذّ وخانا
أقسِم إذا ما الخصمُ حاولَ أن ... يهاجِمَها على أن لا تكونَ جبانا
أقسِم لها يا نشءُ إن نادى المنادي ... للوَغى أن تلبِسَ الأكفانا
وأعِد سعادَتها إليها أيّها النـ ... ـشءُ الجديدُ وأعِطها البُرهانا
فاللهُ نِعَم العون جلّ جلالُه ... إن تعدَمِ الأنصارَ والأعوانا[1]

وهذه القصيدة -كالتي قبلها- جعل العسكر فيها ذكرى مولد الرسول ﷺ مدخلا يُذكر فيه أمته بهذا الضعف الذي حلّ بها حينما نحّت التعاليم القويمة التي أتى بها الرسول الكريم، ومن الخصائص الأسلوبية لهذه القصيدة التي تؤكد صحة هذا الفرض هو عناية الشاعر الكبيرة بالأساليب الإنشائية، حيث أضحت القصيدة وكأنها مجموعة من النداءات والأوامر الصادرة من أعماق الشاعر لأمته العربية يدعوها فيها إلى نبذ كل ما من شأنه أن يعوق سيرها نحو التقدم، فلا سبيل إلى النهوض - كما ذكر الشاعر - إلا بالتمسك بهذا التراث التليد الذي خلّفه لنا أسلافنا.

(١) عبد الله زكريا الأنصاري - فهد العسكر حياته وشعره - ص١١٨ - ١٢٠.

نحو نظرية للأدب الهادف

مدخل:

والدعوة إلى المثل العليا لم تكن دعوة وليدة بدأت مع الاتجاه الوجداني بل كانت قديمة نادى بها الأدباء والنقاد في المشرق والمغرب في كل عصر وعند كل مذهب.

فمما لا شك فيه أن قضية ربط الشعر بالأخلاق والمثل العليا قد أخذت حيزًا كبيرًا، فكانت قضية نقدية تناولها نقاد العرب قديمًا وحديثا، وكانت منهجًا نقديًا عند علماء الغرب، وفيما يلي أبسط الخلاف بين مؤيدي الفكرة ورافضيها في القديم والحديث.

تبدأ فكرة ربط الأدب بالأخلاق في تراثنا العربي مع بعثة النبي ﷺ، فهذه البعثة المباركة – مع مرور الوقت – استطاعت أن تنشر تعاليمها في أرجاء الجزيرة العربية، فلا عجب بعد ذلك أن نرى الأدب بكل صوره وأشكاله قد أخذ طابعًا أخلاقيًا، فاختفى بصورة مؤقتة كل شعر يتنافى مع ثوابت الدين الحنيف، فهذه الخنساء ترثي أخويها في الجاهلية بصورة تحمل شيئا من رواسب الجاهلية، وقد قيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل البيت الحرام، فرأى الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكي، وتلطم خدها، وقد علقت نعل صخر في خمارها فوعظها، وقال: «إن الإسلام قد غطى ما كان قبله، وإنه لا يحل لك لطم وجهك وكشف رأسك»[1]

ولعلّ هذه الواقعة كانت في أول إسلامها، حيث لم تكن بعد قد عرفت أن الإسلام قد جاء بتحريم النياحة على الميت، فالحزن أمر جبلي قد فطر عليه الإنسان

(١) الخنساء – ديوان الخنساء – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط٢ – ٢٠٠٤ م – ص٨٦.

حين يصاب في أحبابه، ولكن الإسلام ينهى عن مظاهر الجاهلية التي تكون مع وفاة إنسان من تمزيق للثياب، وحلق الشعر، ولطم الخد، ونحو هذا.

فلما حسن إسلامها نراها تبعث بأبنائها إلى معركة القادسية، وحينما بلغها خَبَر استشهادهم في المعركة قَالَت: «الْحَمد لله الَّذِي شرفني بِقَتْلِهِم وَأَرْجُو من رَبِّي أَن يجمعني مَعَهم فِي مُسْتَقر رَحمته»[1].

أما في التراث الغربي، فقد كانت فكرة ربط الأدب بالأخلاق قديمة، نجدها قبل الميلاد عند الفيلسوف اليوناني أفلاطون (ت ٣٤٧ ق م)، وفي القرن السادس عشر عند الإنجليزي السير فيليب سيدني (ت ١٥٨٦ م) الذي يعد أكبر المنظرين لهذه القضية في الغرب، حتى استقرت منهجا نقديا عند كثير من النقاد، كما نجد صداها في القرن العشرين في أمريكا عند الإنسانيين الجدد.

وفيما يلي أعرض تلك القضية، مع إيماني الشديد بضرورة ربط الأدب بالأخلاق، ودور الأديب في تقديم قيمة فيما يقول، تنعكس إيجابيًا على المتلقي، واعتقادي الجازم بأن الأديب حين يكتب ما يكتبه حريص على توجيه رسالة إلى جمهوره، فلتكن إذا رسالة تعلي من شأن الأخلاق، أو على الأقل ليس فيها ما يتنافى وقواعد الدين، والمتأمل لمسيرة الأدب يجد أنه لا يوجد أدب إلا ويصدر عن نظرة دينية أو فلسفية أو عقدية للكون والحياة والإنسان، فالأدب على مر التاريخ ينحاز بصورة كبيرة إلى الفكر الذي أنتجه، لذا لا تبدو الدعوة إلى أدب إسلامي مضبوط بقيود أخلاقية شيئا غير مألوف، بل أمرًا بدهيًا يقتضيه الواقع ويحتمه الشرع.

(١) لويس شيخو اليسوعي - مجاني الأدب في حدائق العرب - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩١٣م - ج٦ ص٢٩٦.

الدعوة إلى المثل العليا في تراثنا الإسلامي:

تظهر جليًا عناية التراث العربي بالأدب الهادف الذي يتوافق مع القيم وقواعد الأخلاق، وأول النصوص التي أذكرها هنا هو قول الله ﷻ في سورة الشعراء: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

والآية التي بين أيدينا لا تحمل ذمًا مطلقًا للشعر والشعراء، وإنما قيدت ذلك بالشعر الباعث على الغواية والضلال، والشعراء الذين يخوضون في الشعر المحرم، من هجاء الأعراض المحرمة، والفخر بالأحساب، والغزل الفاحش، ومدح الرجل بما ليس فيه، إلى غير ذلك، فهؤلاء الغاوون لا يضعون حدًا لما يمكن أن يقال، بل يهيمون بشعرهم في كل واد، وفي كل غرض مباح أو حرام، والقرآن حين يذم هؤلاء الغاوين يُتبع هذا الذم باستثناء طائفة من الشعراء المؤمنين، لم يصرفهم الشعر عن التزامهم بدين الإسلام وأخلاقه، فوظفوا شعرهم في الدفاع عن الحق والانتصار للخير(١).

قال أبو العلاء المعري: «وإذا رأيت الشاعر فلا تقل: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ فإن الآية وصلت باستثناء، وجني السيئة شر الجني، لا تجهلوا فضيلة الشعر؛ فإنه يذكر الناسي، ويحل عزمة الفاتك، ويعطف مودة الكاشح، ويشجع الجبان»(٢).

---

(١) ينظر: عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – دار الهاني للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ – ص٥٩.

(٢) أبو القاسم الكلاعي – إحكام صنعة الكلام – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٦م – ص٣٨.

فأبو العلاء المعري يرى أن للشعر وظيفة أخلاقية فهو يذكر الغافل، ويصد الفاتك ويحجزه عن النيل من خصومه، ويحيل عداوة الكاشح إلى عطف ومودة، ويشجع الرجل الجبان على اقتحام ما يخافه، وهو يقر أن ثمة ذمًّا قد يلحق بالشاعر إذا خرج عن الجادة في شعره، وأتى بما لا يليق خلقًا لذا نراه يستثني من الشعر المذموم في الآية ما كان حاديًا إلى الخير محفزًا على الفضائل.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من البيان لسحرا**»[1] وقال: «**وإن من الشعر حكمة**»[2].

فأثبت النبي ﷺ ما للخطبة والشعر من قوة في التأثير على نفوس الناس، فجعل وقع الخطبة البليغة على النفوس كوقع السحر الذي يخلب الألباب، ويأخذ بالعقول.

وأُعجب ﷺ بشعر أمية بن أبي الصلت، وطلب الاستزادة منه حتى سمع مائة بيت، فعن عمر بن الشريد عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ردفت رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**هل معك من شعر أمية من أبي الصلت شيء؟**» قلت: «نعم»، قال: «**هيه**»، فأنشدته بيتًا فقال: «**هيه**»، ثم أنشدته بيتًا، فقال: «**هيه**»، حتى أنشدته مائة بيت»[3].

ومعنى الحديث أن النبيَّ ﷺ استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث، ففيه جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه، سواء شعر الجاهلية وغيره.[4]

(١) محمد بن إسماعيل البخاري - الجامع الصحيح - دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - تحقيق محمد زهير الناصر - ط١ - ١٤٢٢هـ - جـ٧ ص١٣٨ - الحديث رقم ٥٧٦٧.

(٢) المرجع السابق - جـ٨ ص٣٤ - الحديث رقم ٦١٤٥.

(٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري - صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط١ - جـ٤ ص١٧٦٧ - الحديث رقم ٢٢٥٥.

(٤) ينظر: شرح المحقق - المرجع السابق - ج٤ ص١٧٦٧.

فالرسول ﷺ لم يقف من الشعر موقف عداء، وإنما استجاد الشعر الذي يأتي متوافقًا مع مبادئ الدين، فنراه يقول بعد أن سمع أبيات أمية: «**وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم**»(١).

فالميزان الذي وضعه الرسول الكريم ﷺ لقبول الشعر ينبغي وضعه في عين الاعتبار، حيث استجاد من الشعر الذي يتوافق مع ما جاء به من الهدى، وما الغضاضة على شاعر دعا في شعره إلى خير، أو خاض في أغراض الشعر دون المساس بمحرم أو الترويج لمنكر، فهل يعدُّ هذا تقييدا لحرية الشاعر؟

وقال ﷺ: «**أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»(٢).

فالنبي ﷺ يصدر حكما نقديًا على شطر بيت للبيد بن ربيعة، ويثبت أنه أصدق كلام خرج من شاعر هو هذا الشطر الذي يقول فيه: إن كل ما سوى الله باطل يفنى وإن الله وحده هو الحق الذي ينبغي الإيمان به.

وقال ﷺ لحسان: «**يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس**»(٣).

وقال ﷺ لما يعلم من أن هجاء قريش شديدٌ عليها؛ فهي أعظم القبائل قدرًا في جزيرة العرب، قال لأصحابه: «**اهجوا قريشًا فإنه أشد عليهم من رشق النبل**»(٤).

(١) محمد بن إسماعيل البخاري - الجامع الصحيح - جـ٨ ص٣٥ - الحديث ٦١٤٧.
(٢) المرجع السابق - جـ٨ ص٣٥ - الحديث ٦١٤٧.
(٣) المرجع السابق - جـ١ ص٩٨ - الحديث ٤٥٣.
(٤) مسلم بن الحجاج النيسابوري - صحيح مسلم - جـ٤ ص١٩٣٥ - الحديث ١٥٧.

مما سبق نلمس أن النبي ﷺ قد وظف الشعر في الدفاع عن الدين، لذا نراه يستعين بشعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما في مواجهة المشركين في هذه المعارك البيانية التي لا تقل أهمية عن المعارك الحربية، بل تؤازرها في النيل من أعداء الدين ورد كيدهم، فهو أدب له هدف سام، ينافح عن الرسول ودينه، ويندد بالشرك وأهله.

وقال ﷺ لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**»(١).

فاستعمل النبي ﷺ الشعر؛ لينافح به عن الدين؛ ويؤيد به الإسلام؛ وكان له شعراؤه الذين يمثلون السيف البياني الذي يواجه به إساءات المشركين وأعداء الدين.

ويحذر ﷺ من الأدب الذي يتنافى مع روح الإسلام، فيقول: «**مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت، يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر يُنشد، فقال ﷺ: «**خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا**».(٣)

---

(١) المرجع السابق – جـ٤ ص١٩٣٥ – الحديث ١٥٧.

(٢) ابن الأثير – جامع الأصول في أحاديث الرسول – مكتبة دار البيان – دمشق – سوريا – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط – جـ٤ ص٥٤٦ – الحديث ٢٦٥٤.وقد عزاه لمسند أحمد فلم أجده بهذا اللفظ.

(٣) أحمد بن حنبل – المسند – دار الحديث – القاهرة – ط١ – جـ١٠ ص٣١– رقم ١٠٩٩٨.

وهذا الحديث لا يعني – بلا شك – الشعر كله، وإنما يقصد الشعر الذي يدعو إلى رذيلة أو يتنافى مع الدين، بدليل استماع الرسول الكريم لمائة بيت من شعر أمية بن أبي الصلت.

موقف النقاد القدامى من القضية:

باستطاعتنا أن نلمس رسالة الأدب في التراث النقدي عند العرب – تلك الرسالة التي أثبتها القرآن وقررتها السنة النبوية – من خلال الوقوف على بعض النصوص في كتب التراث النقدي، فمن ذلك قول محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه «عيار الشعر» حيث يقول: «وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف وما مجه ونفاه فهو ناقص... والفهم يأنس من الكلام بالعدل والصواب الحق والجائز المعروف المألوف ويتشوف إليه ويتجلى له ويستوحش من الكلام الجائر والخطأ الباطل والمحال المجهول المنكر وينفر منه ويصدأ له»[(١)].

ثمة إشارة أخرى إلى ربط الأدب بالأخلاق نجدها عند ابن قتيبة (ت ٢٦٧هـ) في كتابه «الشعر والشعراء»، حيث حرص ابن قتيبة على تقسيم الشعر إلى أربعة أقسام، حيث يقول: «تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب، ضرب منه حسن لفظه، وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه، وحلا، فإذا أنت فتشته، لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه، وضرب منه تأخر معناه، وتأخر لفظه»[(٢)].

(١) ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر – تحقيق عباس عبد الساتر – دار الكتب العلمية بيروت – ٢٠٠٥م – ص٢٠.

(٢) ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٦٩.

وفي هذا التقسيم إشارة إلى محاولة ربط الأدب بمعنى قيم يُهذب العقل، حيث يرى أن للأدب غاية ورسالة هامة تقتضي ضرورة اشتماله على فكرة جيدة، وهذه الفكرة لا ينبغي للضرورة أن تكون فكرة دينية، بل يمكن أن تكون فكرة إنسانية سامية، أو نموذجًا يرتقي بمشاعر الناس وأخلاقهم.

وقدامة بن جعفر (ت ٢٧٦ هـ) في حديثه عن أغراض الشعر أخذ يحدد في كل غرض مجموعة المعاني أو الصفات اللائقة به، فمدح الرجال يكون بالعقل والشجاعة والعدل والعفة، ومن ثم كان القاصد لمدح الرجال بهذه الخصال الأربعة مصيبًا، والمادح بغيرها مخطئًا[١]، ويستشهد قدامة بموقف عبد الملك بن مروان من قول كثير في مدحه:

على ابن أبي العاص دِلاصٌ حَصينةٌ ... أجادَ المُسدِّي نسجها وأذالها يئود

ضعيف القول حملة قتيديها ... ويستظلع القرم الأشم احتمالها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي يكرب أحسن من قولك، حيث يقول له:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الزاهدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلمًا أبطالها[٢]

وقدامة يوافق عبد الملك بن مروان على أن تصوير الأعشى للشجاعة أجود من تصوير كثيّر؛ حيث اعتمد كثيّر في تصويره للشجاعة على الصفات العرضية من

(١) ينظر: عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – ص٨٨– وينظر محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ط١ – ص١٧١.

(٢) قدامة بن جعفر – نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت – ص٤٣.

كثرة السلاح والعتاد، أما الأعشى فجعل ممدوحه صاحب شجاعة حقيقية لا تحتمل الأسلحة، أو تتوارى خلف الحصون، فقد استطاع الأعشى أن يجعل ممدوحه مثالًا للشجاعة حين أخفق كثيّر في ذلك.

ثمة إشارة أخرى إلى عناية نقادنا القدامى بقضية ربط الأدب بتقديم قيمة خلقية نجدها عند الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) الذي يعلق على أبيات امرى القيس التي يقول فيها:

فمثلك حبلى قـد طرقت ومرضع فألهيتُهـا عـن ذي تمائـمِ محـولِ

إذا ما بكى مـن خلفها انصرفت له بشـقٍّ وتحتي شـقها لـم يـحوّلِ

حيث يرى الباقلاني أن البيت الأول منهما فيه من الفحش والتفحش ما يستنكف الكريم من مثله ويأنف من ذكره، والبيت الثاني غاية في الفحش ونهاية في السخف، وأيّ فائدة لذكره لعشيقته ؟ كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد، إن هذا ليبغضه إلى كل من سمع كلامه ويوجب له المقت، وهو – ولو – صدق لكان قبيحا، ثم ليس في البيت لفظ بديع ولا معنى حسن[١].

يقول الدكتور إحسان عباس: «وهكذا يظل الباقلاني متنقلا في الكشف عن عيوب امرئ القيس، ولكن أكثر ما يهيج غضبه خروج الشاعر عن الجادة الخلقية إلى ما يأنف منه الكريم»[٢].

(١) أبو بكر الباقلاني – إعجاز القرآن – دار المعارف – القاهرة – مصر – ١٩٧١م – ص١٦٧.

(٢) إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط ٤ – ١٩٨٣م – ص٣٥٢.

ومسكويه أحد فلاسفة القرن الرابع والخامس (ت٤٢٠ هـ) يتبنى هو الآخر تلك الوجهة فيرفض ما يجره الشعر من ضرر في تربية الناشئين.

ومسكويه بوجهته هذه لا ينفي الشعر جملة وإنما يستبقي منه في منهاجه التربوي ما يتلاءم والصحة النفسية والجسمانية، «ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالأدب حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها جميع ما قدمناه ويحذر النظر في الأشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله وما يوهمه أصحابها أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع فإن هذا الباب مفسدة للأحداث جدًا»[١].

ويعلق الدكتور إحسان عباس بقوله: «كذلك نرى ابن رشد ومسكويه وهما فيلسوفان قد اتخذا من كلام أفلاطون في نقد الشعر سبيلا إلى تطبيق نظريته على الشعر العربي، ومن ثم فقد وصل كل منهما أن يجنب الناشئة الشعر الي يتحدث عن النسيب أو مدح الطغاة، وابن حزم صاحب النظرة الفقهية قد نفى أكثر أنواعه لاعتقاده بأنها تضر بأخلاق الناشئة، وحيثما كانت الزاوية في النظر إلى الشعر هي التربية نجد الناظرين إليه يستبعدونه لاقتناعهم أنه من العوامل الهدامة أخلاقيًا»[٢].

وأبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) أراد هو الآخر أن يجعل للدين تدخلا في المقياس الأدبي حين قال: «ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولًا وفعلًا ونظمًا ونثرًا، ومن استهان بأمره، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه، فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته»[٣].

(١) المرجع السابق – ص٤٩.
(٢) ينظر: إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص٢٤٢.
(٣) أبو منصور الثعالبي – يتيمة الدهر – تحقيق محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٣م – جأ١ ص٢١٠.

وبرغم ما أشيع حول أبي العلاء المعري فإننا نراه يتعقب المتنبي في قوله:

«هابـك الليـل والنهـار فلـو تنـ ـهاهما لـم تجـرِ بـك الأيـام

بقوله: يرحم الله أبا الطيب لقد اجتهد في قول الباطل... ولو أنّ هذا البيت في صفة الله عزّ سلطانه، لجاز أن ينال بذلك رضوانه»[(١)].

ويتضح من تعليق المعري على بيت المتنبي الذي تجاوز فيه الحد في نعت ممدوحه على عدم إغفال المعري لهذه النظرة الأخلاقية، فلم يجز لنفسه أن يمر به البيت هكذا، بل رأى المتنبي مخطئا حين منح ممدوحه بعض الصفات التي لا يمكن تعلقها إلا بالله الواحد.

ويلفت نظرنا د/ محمد عبد المطلب إلى عناية حازم القرطاجني هو الآخر بربط الأدب بالأخلاق[(٢)] والغاية الخُلقية والاجتماعية للشعر من خلال تعرضه لوظيفة الشعر عند حازم القرطاجني(ت ٦٨٤هـ) بأنه يحبب للنفس ما يجب أن تحبه ويكرهها فيما يجب أن تكرهه[(٣)]، فالشعر إذا قام بدوره حق قيام يحبب للنفس كل فضيلة، وينفرها من كل رذيلة، على حد تعبير حازم القرطاجني.

الأصمعي والجرجاني والرد عليهما:

من أشهر المقولات التي تدعو إلى الفصل بين الأدب والأخلاق مقولة الأصمعي: «التي يرى فيها أن الشعر يعلو في باب الشر ويلين في باب الخير...».

---

(١) أبو العلاء المعري – اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي – تحقيق محمد سعيد المولوي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية – ص١٢٢٥.

(٢) محمد عبد المطلب – المسيرة البينية للنقد الأدبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠١٧م – ص٢٤١.

(٣) حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٦م – ص٧١.

يقول الدكتور حامد طاهر: «ولا يمكننا أن نوافق على مقولة أطلقها أحد نقاد العرب بشأن العلاقة بين الشعر والدين، إن هذه المقولة غير صادقة، فهناك الكثير من القصائد الدينية التي بلغت مستوى عاليًا من الجودة الفنية، ولا يرجع السبب في ضعف مستوى الشعر إلى أنه يتناول أغراضًا دينية، وإنما السبب الحقيقي يكمن في ضعف مستوى الشاعر نفسه الذي يتعرض لهذه الاغراض دون أن تكون لديه الملكة والمقدرة الفنية ذات المستوى العالي لكتابة شعر متميز فيها»[١].

ويرى الدكتور حامد طاهر أننا بحاجة إلى وضع معايير يتم على أساسها تنقية الشعر العربي وكذلك النثر من النماذج التي لا تتماشى مع المبادئ والقيم، والتي جرى اعتبارها أدبًا إسلاميًا وهي أبعد ما تكون من هذا المصطلح، فشعر أبي نواس في الخمر، وغزليات بشار بن برد الماجنة، ومفاخرات ومنافرات جرير والفرزدق، والمدح المبالغ فيه لدى المتنبي، كل هذا لا يعد من قبيل الأدب ذي التوجه الإسلامي، وإنما يمكن أن يطلق عليه الأدب العربي، أما ما أنتجه هؤلاء من قصائد لا تمس العقيدة أو مبادئ الدين، فهو ما ينبغي أن نقبله، ونُعيد قراءته واستلهامه، وإلى جانب ما سبق ينبغي عدم تجاهل ما أضافته الشعوب العربية خلال تاريخها الطويل من آداب الأمم الأخرى، والتي وجدناها متمشية مع قيم الإسلام، وغير متعارضة معها فما أحرانا ونحن نتتبع مصادر الأدب الإسلامي ألا نغفل عن عملية التطعيم اللازمة للأدب الإسلامي بخلاصة التجارب الأدبية للأمم الأخرى[٢].

(١) حامد طاهر – مستقبل الأدب الإسلامي – نهضة مصر للطباعة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٧م – ص١٦.

(٢) المرجع السابق – ص١٧.

فما ترجمة كتاب كليلة ودمنة بكل ما يحويه من قيم إلى العربية إلا صورة صادقة لهذا النقد الذي ينتقي من آداب الأمم الأخرى ما يناسب طبيعة مجتمعاتنا الإسلامية، فلا شك أن الأدب الهادف ليس حكرًا على أمة دون سائر الأمم، ولا على عصر دون بقية العصور، بل هو كل أدب يرتقي بالنفس ويعلو بأخلاق المجتمع بقطع النظر عن جنسية قائله أو الزمن الذي قيل فيه.

أما دعوى ضعف المستوى الفني فيما يتم من إنتاجه من أدب إسلامي، فلا يمكن التسليم به على طول الخط؛ لأن الأدب الإسلامي ينبغي أن ينشأ من أجله نقد أدبي إسلامي يراعي أول ما يراعي اتجاه هذا الأدب في أهدافه ومضمونه ثم بعد ذلك يمكن تطبيق الأسس والمعايير النقدية الفنية عليه وهذا يعني أن الأدب الإسلامي يحتاج إلى مستويين من النقد، نقد المضمون ونقد الشكل وهذا ما لم يتم حتى الآن بصورة متكاملة وسيبقى دائمًا أن الأديب الجيد هو الذي يمكنه أن ينتج أدبًا جيدًا وأن الأديب المتوسط أو الرديء يهبط بمستوى الأدب مهما كان مضمونه أو محتواه، إن العبرة هنا تكمن في طريقة التناول وهي بالضرورة تختلف من أديب لآخر وما ذنب الأدب الإسلامي حين يتعرض للكتابة فيه أدباء متوسطون او أقل من المستوى المتوسط، إنه سوف يتحول على أيديهم غلى مجرد مواعظ مباشرة أو قص ممل[1].

إن الغرض الشعري أو المضمون الفكري للقصيدة أو القطعة الأدبية بشكل عام ليست سببًا في انهيار مستواها الفني وإنما السبب يكمن في الشخص الذي تناولها مع الأخذ في الاعتبار أن هناك شاعرًا قد يبدع في غرض معين ويهبط مستواه في غرض آخر وهذا مشاهد بكثرة في أدبنا العربي، فثم شعراء برعوا في الرثاء وحده أو الغزل

(١) المرجع السابق – ص١٩.

أو الهداء وحين كتبوا في أغراض اخرى هبط مستواهم الفني فقد يبدع شاعر في غرض معين ثم يكتب شعرًا إسلاميًا فلا يكون بنفس المستوى الفني وهذا برأيي أفضل تفسير لانخفاض المستوى الفني لشعر حسان بن ثابت بعد دخوله في الإسلام كما يرى الأصمعي إن سلمنا بصحة كلامه. يقول الفارابي: «فمن جبل على المدح صدر منه ذلك عن طبع ولكن ربما اضطر في بعض الأحيان إلى قول الهجاء فيكون قوله له عن قهر والأحمد أن يكون صدور الشعر عن طبع»[١].

أما الدكتور إحسان عباس فبعد أن ذكر أن الشعر عند الأصمعي مجاله الشر ودفاع الصولي عن أبي تمام برغم أنه قليل التدين لا يؤدي الصلوات في أوقاتها ودفاع الجرجاني عن المتنبي الذي يستهتر في شعره ببعض الأمور الدينية طرح الدكتور إحسان عباس سؤالًا أعاد الأمور لميزانها الصحيح، وهو ما موقف الناقد إذا كان يقرأ شعرًا فيه تهجم على بعض المواضعات الأخلاقية أو المبادئ الدينية؟ يرى الدكتور إحسان عباس أننا سنرى بونًا شاسعا بين كلامه والطريقة التي تناول بها تحليل بعض القصائد[٢].

ويرى إحسان عباس أن الأصمعي قد خالف قوله فعله فإذا كان يرى أن الشعر يلين إذا دخل في باب الأخلاق فإنه كان يتحرج تدينًا أن يروي أي شعر فيه ذكر للأنواء[٣]، ومعلوم أن الاعتقاد في أن الأنواء أو حركة النجوم والكواكب تجلب المطر محرم على لسان النبي ﷺ حيث فعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ،

(١) ينظر: إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – ص٢٢٤.حيث لم أعثر على كتاب الفارابي.
(٢) المرجع السابق – ص٣٧.
(٣) المرجع السابق – ص٥٠.

فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»(١).

الجرجاني وموقفه من فصل الدين عن الشعر:

كان القاضي الجرجاني أوضح الداعين إلى فصل الدين عن الشعر حيث يرى أن الديانة لو كانت عارًا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر(٢).

وأنا أرى أن الجرجاني حين أراد أن يبرر موقفه من الفصل بين الدين والشعر لم يذكر حجة مقنعة، وإنما غاية ما استدل به أنه لا يجوز حذف اسم أبي نواس من سجل الشعراء الكبار، ولا يمكن حذف اسم امرئ القيس ومن حذا حذوه من شعراء الجاهلية، وما الحجة في ذلك؟ بل يحذف أي اسم مهما كان، إذا كان شعره يدعو لرذيلة أو يروج لقبيح، فذكر أبي نواس أو غيره ليس حجة على ما يقول، إذا كنا نروم شعرًا مهذبًا للأخلاق، وأبو نواس – على سبيل المثال – قد عُرف عنه أيضًا أشعار دينية في غاية الروعة، فبإمكاننا أن نأخذ من كل شاعر ما يتفق مع الدين بصرف النظر عن اسم الشاعر ومكانته الأدبية.

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – ج١ ص٨٤ – الحديث رقم ١٢٧.
(٢) القاضي الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٦٤.

آراء بعض نقادنا المعاصرين:

رأينا من خلال الصفحات السابقة موقفا صريحا لربط الأدب بالأخلاق والمثل العليا عند بعض النقاد المعاصرين مثل الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي في كتابه «أضواء على تراثنا النقدي»، والأستاذ الدكتور حامد طاهر في كتابه «مستقبل الأدب الإسلامي»، والأستاذ الدكتور إحسان عباس في كتابه الجامع «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»، وثم موقف آخر يعلي من شأن الأصول الفنية للعمل الأدبي، أو يبدأ بالأصول الفنية، ولكنه لا يرفض أن يكون للعمل الفني بعدٌ أخلاقيٌّ.

نجد ذلك عند الناقد الكبير الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي حيث يقول: «وإذا كان للأدب أن يكون في جانب النبل والفضيلة، فإنه لا يجوز بأي حال أن يتخلى عن رسالته في عالم الذوق الفني والمهارة في البناء، حتى لا يهبط إلى التبشير بفضيلة من الفضائل، أو إعطاء العظات... لقد كان النبل والشرف والبطولة وخير ما في الضمير الإنساني وأسماه طابعًا مميزًا لما تخلقه في وعيينا آداب اليونان القديمة، وكلنا يدرك مدى ما خلفته مسرحيات أسكيلوس وصوفوكليس من معاني الخير»[(١)].

فالدكتور العشماوي لا يزال يؤكد أن الأدب ليس مجرد وعظ حتى يرتقي إلى مرتبة عالية من الفن، فنراه يقول: «فقد سما شعراء اليونان القدماء إلى مرتبة عالية من الفن وكانوا جميعًا -بطريق غير مباشر- من دعاة الفضيلة الصارمين»[(٢)].

(١) محمد زكي العشماوي - دراسات في النقد الأدبي المعاصر -دار المعرفة الجامعية - بدون تاريخ. ص١٧٠.
(٢) المرجع السابق - ص١٧٠.

والدكتور العشماوي لا يرى بأسًا في أن يحمل الأدب في طياته لونًا من الفضيلة بشرط أن يُحافظ على ما للفن من رونق يرتقى به ويرتفع، وينأى بالأدب عن أن يكون مجرد وعظ وإرشاد.

هذه النظرة نجدها أيضا عند الأستاذ الدكتورمحمد مندور حيث يقول: «وأما الدعوى الصريحة إلى مبادئ الأخلاق فالملاحظ أنها قلما تصلح قائدًا للسلوك الفردي هذا، وليس معنى إمساك الكاتب عن الوعظ أنه لا يطوي في نفسه حكمًا على ما يقص من أحداث، وذلك أن هذا الحكم يكاد يكون أمرًا لازمًا لا يستطيع أن يفلت منه كاتب من الكتاب ما دام إنسانًا لا آلة راصدة، وربما كان من الخير أن يكتفي الكاتب بهذا الحكم الكامن الذي يطلع القراء من ثنايا ما يكتب، ولو لم يقصد إلى ذلك»[1].

فهو يرى الاكتفاء بما يتضمنه النص من حكم في داخله، ولا يميل إلى عرض المواعظ بصورة تقريرية مباشرة، ولكن منصهرة داخل العمل الأدبي، يتذوقها كل قارئ داخل العمل الفني بصورة غير مباشرة.

الدعوة إلى المثل العليا في الغرب:

من أشهر المصطلحات التي قدمتها التقاليد الكلاكسيكية للنقد الأدبي مصطلح المحاكاة، حيث تحدد التقاليد الكلاسيكية مفهوم الشعر بل مفهوم الفنون كلها على أساس أنها محاكاة للطبيعة، وهذه المحاكاة هي عند الفيلسوف الإغريقي أفلاطون محاكاة للعالم الحقيقي الوحيد الذي هو عالم المثل، فالشاعر في محاورة إيون عند أفلاطون هو الذي يتفوه بالحقيقة الإلهية، وهو الذي يعبر عن الحق والخير والجمال،

(١) محمد مندور – في الأدب والنقد – نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – بدون تاريخ. – ص٢٩.

وفي نهاية الكتاب الثاني من الجمهورية وبداية الكتاب الثالث يناقش أفلاطون الشعر على أساس تربوي، وهو يرى أن معظم الشعر الموجود في عصره غير مناسب من الناحية الأخلاقية للأهداف التربوية، وسبب ذلك – من وجهة نظره – أن الشعراء في قصصهم عن أبطال التاريخ يصورون نواحي متعددة من الضعف الأخلاقي عندهم، وذلك له تأثير سيئ على عقول الشباب، وفي الجزء الثالث من أجزاء الجمهورية يتحدث أفلاطون عن طريقة التناول الشعري، ويُقسم الشعر إلى ثلاثة أقسام، قسم يحكي فيه الشاعر عن نفسه، وقسم يمزج فيه بين الحكي ومحاكاة الشخصيات، وقسم يقوم بالكلية على المحاكاة التي يخلقها في المأساة والملهاة، ويظهر من حديثه أنه يفضل شعر المحاكاة الخالص من بين هذه الأنواع إذا حاكى كل ما هو خير وذلك أن حراس الجمهورية المثالية ينبغي أن يتربوا على تقليد ما يناسبهم ويساعدهم على أداء دورهم في حراسة هذه الجمهورية وهذا التفريق يعني أن أفلاطون يقبل المحاكاة في الملاحم والمسرحيات إذا كانت محاكاة لأشياء ذات قيمة[1].

وكان تصور أفلاطون هذا بمثابة إرهاصات لنظرية ظهرت بعد ذلك في القرن السادس عشر الميلادي على يد السير فيليب سدني في كتابه دفاع عن الشعر، حيث عرف فيليب الشعر بأنه محاكاة هادفة، فالشعر عنده ليس مجرد بناء فني، وإنما يرتبط بوظيفة أخلاقية محددة، فالشاعر يحاكي؛ ليتخذ من هذه المحاكاة وسيلة يهدف بها إلى إمتاع الجمهور، ثم يتخذ من هذا الإمتاع وسيلة يهدف بها إلى هدف تعليمي، ويرى

(١) ينظر: محمود الربيعي – في نقد الشعر – دار غريب – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ – ص٣٩ وما بعدها – وينظر نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – ط١ ٢٠٠٣م – ص٧ وما بعدها.

سدني أن الشعر يهدف إلى خلق عالم أفضل من العالم الذي نعيش فيه، فإذا كان عالم الطبيعة من نحاس فإن عالم الشعراء من ذهب[١].

إن خيالات الشعر عند سدني تحول الحقائق الخاصة إلى حقائق عامة، وتقدم الفضيلة بطريقة مفهومة للرجل العادي، ولهذا تُصبح تعاليمها طعامًا سائغًا لأرق المعد، لقد فسر سدني المحاكاة تفسيرًا جديدًا جريئًا مخالفًا للمحاكاة عند أرسطو حين قال: إنها محاكاة الجمهور المتلقي للشاعر المبدع، وليست محاكاة الشاعر المبدع للطبيعة، وإذا كان أرسطو قد اعتنى بالجانب الفني للشعر، فإن سدني يرى الشعر ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لغاية أخرى تعليمية، وقد بنى سدني دفاعه عن الشعر ووظيفته الأخلاقية على ثلاث نقاط رئيسية، وهي كالآتي:

أولًا: أنه عاد إلى التاريخ فوجد أن الشعر كان من أهم الوسائل التعليمية التي غزت عقول الناس، فساعدت بذلك على نقل البدائيين إلى مراحل حضارية أعلى.

ثانيًا: أنه ناقش الشعر على أساس فلسفي، فوجد أنه قادر على إبراز الحقيقة في صورة حية تُغري باتباعها.

ثالثًا: أنه توصل إلى أن الشعر يثري العقل الإنساني والشخصية الإنسانية، بحيث يُمكّن الإنسان من إدراك الحقيقة، والإحساس بها، والتصرف طبقًا لمقتضياتها[٢].

وكان للتفسير الأخلاقي لوظيفة الفن الذي أرسى قواعده كتاب سدني أثر كبير على فترة الكلاسيكية الجديدة؛ إذ أصبحت الفكرة التي دعا إليها سدني من أهم معالم الكلاسيكية الجديدة؛ إذ أصبح مقررًا أن الشعر الذي لا فائدة منه أو لا هدف له شعر

(١) ينظر: محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص ٤١.
(٢) المرجع السابق – ص٤٤.

لا قيمة له، ولا أدل على تأثر الكلاسيكية الجديدة بأفكار سدني من اهتمامها الشديد بما أسمته العدالة الشعرية، هذه الدعوة التي ظهرت في عام ١٦٧٨م، والتي كانت تؤمن بأن الخير لا بد أن يكافأ، وبأن الشر لا بد أن يعاقب، وقد أصرت هذه الدعوة على الوظيفة الأخلاقية للأدب باعتبارها وظيفة أساسية لا يكمن معنى الأدب إلا بها، وعلى الأديب – طبقًا لهذه الدعوة– أن يوزع ألوان الثواب والعقاب على نحو يجعل الخير دائمًا مثابًا، ويسلم إلى مزيد من الخير، ويجعل الشر دائمًا معاقبًا، ويسلم إلى مزيد من الشر، وذلك من شأنه أن يشجع إلى الخير، ويثبط عن الشر، ولذلك ينبغي أن يعكس الأدب هذه الصورة؛ لأنها صورة حقيقية[١].

الحق أن أثر النظرية الأخلاقية للشعر لم ينقطع في أي عصر من العصور التالية لسدني؛ فقد ظهر عند الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد (١٨٢٢ – ١٨٨٨م) الذي ربط الشعر بالأخلاق ربطًا وثيقًا أحله فيه محل الدين نفسه، حيث نادى أرنولد بأن الثقافة هي الوسيلة الوحيدة لتربية الجنس الإنساني، وكانت آراؤه في هدف الشعر التعليمي الأخلاقي فرعًا من فروع نظريته العامة حول الأدب.

عاش أرنولد في عصر طغى فيه العلم التجريبي على كل شيء، وهدد بتدمير العناصر الإنسانية والروحية لدى الجنس البشري، وقد رأى أن الخلاص الوحيد للإنسانية من ميكانيكية العلم والصناعة إنما يكون بالرجوع إلى الشعر، وليس الشعر في نظره غريبًا عن الدين، بل هو عنصر من عناصره المحسوسة، ويمكن أن يقال أنه أقوى هذه العناصر. وعنده أن دور الشاعر في المجتمع المفتوح والذي اتسعت فيه

(١) ينظر: محمد غنيمي هلال – النقد الأدبي الحديث – ص٢٨٣ – ٢٨٤ – وينظر محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٤٤.

دائرة التربية دور تربوي يقوم على إرشاد الإنسانية وهدايتها، وهو نفس الدور الذي يقوم به رجال الدين[١].

وفكرة ربط الأدب بالأخلاق قد لاقت اعتراضًا من مدرسة الفن للفن التي كانت ترى أن هدف الفن ينبغي أن يكون جماليًا محضًا، وهذا الهدف الجمالي المحض منفصل بطبيعته عن الأهداف الأخلاقية وعن أية أهداف أخرى، وقد اعتمدت نظرية الفن للفن على فكرة أن المتعة في الفن أهم من أي هدف تعليمي، وهذه النظرية نستطيع أن نتتبع أُصولها عند بعض النقاد، مثل الإنجليزي شافتسبيري(١٦٧١ - ١٧١٣م)، والإنجليزي وهتشسون (١٦٤٩ - ١٧٤٦م)، والفرنسي ديدرو(١٧١٣ - ١٧٨٩م)، كما نجدها عند المفكر الألماني كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤م)، والكاتب الأمريكي إدجار ألن بو (١٨٠٩ - ١٨٤٩م)، وبالرغم من أن نظرية الفن للفن كانت احتجاجًا مباشرًا على النظرية الأخلاقية، إلا أن هذه الحملة لم تستطع أن تُحرز انتصارًا بعيدًا، وبقيت فكرة الشعر الهادف أو الأدب الهادف عمومًا تحتل مكانًا بارزًا في النقاش النقدي في القرن العشرين[٢].

الواقعية الاشتراكية والأدب الهادف:

في عام ١٩٣٢م فُرضت نظرية نقدية واحدة داخل روسيا، وهي النظرية التي عُرفت في النقد الأدبي بنظرية الواقعية الاشتراكية، وهذه النظرية تُحتم على الأديب أن يصور الحقيقة تصويرًا دقيقًا، وأن يكون واقعيًا يصور المجتمع المعاصر، كذلك تُحتم عليه أن يكون واقعيًا اشتراكيًا يهدف بأدبه إلى نشر الاشتراكية، ومعنى هذا أن

(١) ينظر: محمود الربيعي - في نقد الشعر - ص٤٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص٤٨ - ٤٩ - وينظر نبيل راغب - موسوعة النظريات الأدبية - ص٤٧٧ وما بعدها.

الأدب – من وجهة النظر هذه – ينبغي أن يكون أداة أيدولوجية لنشر مبادئ ماركس الاشتراكية على المستوى الجماهيري الواسع، وللأدب عن هؤلاء الاشتراكيين طبيعة ووظيفة قريبتان إلى حد كبير من طبيعة الأدب ووظيفته اللتين وردتا في نظرية سدني؛ فهو مثالي بمعنى أنه يرينا الحياة لا كما هي عليه في الواقع، وإنما كما ينبغي أن تكون عليه طبقًا للنظرية الاشتراكية، وهو تعليمي، بمعنى أنه يُقدم تعاليم معينة، ويهدف إلى تقديم فائدة محددة[١].

وحديثي عن الأدب الواقعي الاشتراكي ودعوته لربط الأدب بأفكار الشيوعية لا يعني قطعا الموافقة على ما يروجونه من أفكار، بل هو مجرد رصد لهذا المنهج الذي يرفض أن يكون الأدب مجرد وسيلة للاستمتاع والتسلية دون أن يكون له دور في تغذية العقل البشري بأفكار يدعو إليها الأديب من خلال عمله الفني.

ولا أستطيع أن أختم الحديث عن نظرية الأدب الهادف في الفكر الغربي دون الإشارة إلى حركة الإنسانيين الجدد التي يمكن أن تُعتبر أثرًا لاتجاه ماثيو أرنولد الأخلاقي في الشعر، وقد قامت هذه الحركة في العقد الثالث من القرن الماضي باعتبارها رد فعل ضد التطرف الفردي عند الرومانتيكيين، ويدعو روادها –من أمثال الأمريكي بابت والأمريكي مور والأمريكي فويرستر– إلى الاهتمام بالقيم الإنسانية، ومهمة الأدب عندهم أخلاقية، ومن أهم ما يدعون إليه كذلك ضبط النفس وتقليد النماذج الممتازة في الأدب[٢].

(١) ينظر: نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – ص٧١١ – وينظر محمود الربيعي– في نقد الشعر ص٥٠.

(٢) ينظر: محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٥٥.

عرض الأستاذ الدكتور محمود الربيعي الأدب الهادف في الغرب عرضا مستفيضًا بما لا يسمح للاستزادة، وقد استفدت من بحثه استفادة جمة، وإن كان لا يرى ضرورة من ربط الأدب بالقيم السامية والمثل العليا، وإنما ينحاز لمدرسة الفن للفن، وقد علق في كتابه نقد الشعر على كلام الجرجاني في هذه المسألة بقوله: «النقد العربي القديم قد قال كلمته، وهي كلمة لا ترى ربطا أو زواجا بين الأدب وأية أهداف أخرى غير فنية»[1]، والرد على هذا الرأي قد بسط في هذا المبحث.

(١) ينظر: محمود الربيعي – في نقد الشعر – ص٦١.

الخاتمة

إذا كانت إرهاصات الرومانتيكية في العالم الغربي قد لاحت مع الثورة الفرنسية التي تنادي بالمساواة والعدل، فإننا نلمس كيف دعت إلى المثل العليا؛ فالرومانتيكية قد خرجت من رحم المعاناة والشعور بالاضطهاد والظلم، فلا غرو أن نراها تنشد القيم والمثل.

وكانت الظروف التي نشأت فيها الرومانتيكية في الوطن العربي مشابهة لتلك الظروف التي نشأت فيها في الغرب؛ حيث سطع نجم الرومانتيكية في عالمنا العربي في نهايات القرن التاسع عشر، وعالمنا العربي يرسف في قيود الاحتلال الإنجليزي والفرنسي وغيرهما، فجاء شعراء الرومانتيكية ينشدون التحرر من تلك القيود، فرأينا الثورة على التقاليد العمياء التي لا مبرر لها سوى أنها من فعل الأجداد، ورأينا الانشغال بقضايا الوطن، ورأينا الحنين إلى الماضي بما يحمله من تاريخ مشرف، وهذه هي المثل العليا كما ظهرت في شعر فهد العسكر محور تلك الدراسة.

وفهد العسكر -وإن كان من دعاة التجديد- إلا أنه ظل متمسكًا بكثير من الأصول الكلاسيكية في شعره؛ فنراه يحافظ على الوزن الواحد والقافية الموحدة في جلّ أشعاره، كما اتسم معجمه الشعري بالنزوع إلى القديم فبدا متأثرا بألفاظ الشعر العربي في قرونه الأولى ، وبدا متأثرًا في خيالاته بالتراث العربي، ولعل ذلك بسبب بيئته الصحراوية التي تجلُّ تراثها الشعري، فالشاعر الذي يقطن الجزيرة العربية قد صهر ثقافته العربية في ديوانه الشعري، فبرغم محاولات التجديد إلا أن القديم قد ظل مترسخا في وجدانه باديًا في أسلوبه، ومما يلفت النظر أن شاعرنا العسكر قد عدل

عن التقليد القديم وهو البدء بمقدمة غزلية طللية إلى مقدمة أخرى وصفية يصف فيها مظاهر الطبيعة من حوله ثم يتخلص إلى غرضه الرئيس فبدا مجددا لم يفلت من أسر التراث، ولكنه على كل حال لا يعد كلاسيكيا، بل هو أحد رواد الوجدانية في بلده الكويت بما حوى شعره من ذاتية شديدة وامتزاج بالطبيعة حيث لم يقتصر على وصفها بل باتت الطبيعة تختلج كيانه وتملأ وجدانه .

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير – جامع الأصول في أحاديث الرسول – مكتبة دار البيان – دمشق – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط.

٢. ابن طباطبا العلوي – عيار الشعر – تحقيق عباس عبد الساتر – دار الكتب العلمية بيروت – ٢٠٠٥م.

٣. ابن قتيبة الدينوري – الشعر والشعراء – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – ط١.

٤. أبو القاسم الشابي – ديوان أبي القاسم – قدم له وشرحه أ/ أحمد حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٤م.

٥. إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط٤ ١٩٨٣م.

٦. أحمد بن حنبل – المسند – دار الحديث – القاهرة – ط١.

٧. أحمد زكي أبو شادي – الشفق الباكي – المطبعة السلفية ومكتبتها – ١٩٢٦م.

٨. إلياس أبو شبكة – أفاعي الفردوس – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة – ٢٠١٤م.

٩. الباقلاني أبو بكر محمد بن جعفر – إعجاز القرآن – دار المعارف – القاهرة – مصر – ١٩٧١م.

١٠. الثعالبي – أبو منصور عبد الملك بن محمد – يتيمة الدهر – تحقيق محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٩٨٣م.

١١. حازم القرطاجني – منهاج البلغاء – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٨٦م

١٢. حامد طاهر – مستقبل الأدب الإسلامي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة –ط١ ٢٠٠٧م.
١٣. خليل مطران – الأعمال الشعرية الكاملة – جمع وترتيب د/ أحمد درويش – مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري – الكويت – الكبعة الأولى – ٢٠١٠م.
١٤. الخنساء – ديوان الخنساء – اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس – دار المعرفة – بيروت – ط٢ – ٢٠٠٤ م.
١٥. د/ شفيع السيد – قراءة الشعر وبناء الدلالة – دار غريب – القاهرة – ٢٠٠٧م.
١٦. عبد الحميد هنداوي – أضواء على تراثنا النقدي – دار الهاني للطباعة والنشر – القاهرة – ط١.
١٧. عبد العزيز الجرجاني – الوساطة بين المتنبي وخصومه – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ط١.
١٨. د/ عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – مكتبة الشباب – القاهرة – ١٩٨٨ م.
١٩. عبد الله زكريا الأنصاري – فهد العسكر حياته وشعره – شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الخامسة – ١٩٩٧م.
٢٠. عقيل يوسف عيدان – معصية فهد العسكر – دار العين للنشر – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٣م.
٢١. علي محمود طه – ديوان علي محمود طه – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – مصر – القاهرة.
٢٢. قدامة بن جعفر – نقد الشعر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١.

٢٣. الكلاعي أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي – إحكام صنعة الكلام – تحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٦م.

٢٤. لويس شيخو اليسوعي – مجاني الأدب في حدائق العرب – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت – ١٩١٣م.

٢٥. محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح – دار طوق النجاة – بيروت– تحقيق محمد زهير – ط١.

٢٦. محمد زكي العشماوي – دراسات في النقد الأدبي المعاصر – دار المعرفة الجامعية – ط١.

٢٧. محمد عبد المطلب – المسيرة البينية للنقد الأدبي – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ط١ – ٢٠١٨م.

٢٨. محمد غنيمي هلال – الرومانتيكية – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ – بدون تاريخ.

٢٩. النقد الأدبي الحديث – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة – ط١.

٣٠. محمد مندور – في الأدب والنقد – نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة – ط١.

٣١. محمود الربيعي – في نقد الشعر – دار غريب – القاهرة – ط١ – بدون تاريخ.

٣٢. المرزباني أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (المتوفى: ٣٨٤هـ) –الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١.

٣٣. مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب – تهذيب الأخلاق – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١.

٣٤. مسلم بن الحجاج النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١.

٣٥. المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله – اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي – تحقيق محمد سعيد المولوي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية – ط١.

٣٦. ميخائيل نعيمة – همس الجفون – مكتبة صادر بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٥٢.

٣٧. نبيل راغب – موسوعة النظريات الأدبية – الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – ط١ ٢٠٠٣م.

٣٨. وليد منير – جدلية اللغة و الحدث في الدراما الشعرية – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – ٢٠٠٧.

مواقع إلكترونية:

1. https://www.arageek.com/bio/fahad-al-askar.
2. http://www.3rbi.info/Article.
3. https://www.klmat.com.
4. https://albaleegh.com/poet.
5. https://www.hindawi.org.
6. http://www.addustour.com/articles.
7. https://www.aldiwan.net/poem62789.html.

الفهرس

تقديم د. عبد الحميد هنداوي ٥

تقديم د. مراد حسن عباس ٧

مقدمة ٩

السيرة الذاتية لفهد العسكر ١٥

بدايات فهد العسكر ١٥

إنجازات فهد العسكر ١٦

وفاة فهد العسكر ١٧

ملامح الاتجاه الوجداني عند الشاعر فهد العسكر ٢١

١- الولوع بالطبيعة ٢٤

الليل في شعر العسكر ٣١

الخليج العربي في شعر العسكر ٣٢

الربيع في شعر العسكر ٣٥

الخريف في شعر العسكر ٣٧

الطائر في شعر العسكر ٤٠

٢- الافتتان بالمرأة وعاطفة الحب ٤٣

٣- الدعوة إلى المثل العليا ٥٣

مدخل ٥٣

١- الدعوة إلى الحرية والثورة على تقاليد المجتمع ٦٠

٢- **الانشغال بقضايا الوطن** ٦٨
- فلسطين في وجدان العسكر ٧٢
- الجندي في ميدان القتال ٧٨
٣- **الحنين إلى الماضي** ٨٠
نحو نظرية للأدب الهادف ٩٠
مدخل ٩٠
الدعوة إلى المثل العليا في تراثنا الإسلامي ٩٢
موقف النقاد القدامى من القضية ٩٦
الأصمعي والجرجاني والرد عليهما ١٠٠
الجرجاني وموقفه من فصل الدين عن الشعر ١٠٤
آراء بعض نقادنا المعاصرين ١٠٥
الدعوة إلى المثل العليا في الغرب ١٠٦
الواقعية الاشتراكية والأدب الهادف ١١٠
خاتمة ١١٣
المصادر والمراجع ١١٥
مواقع إلكترونية ١١٨
الفهرس ١١٩